المرأة السامريَّة تلتقي بالمسيح

(رسم للفنان وليم ديسي الاسكتلندي William Dyce، ١٨٠٦ – ١٨٦٤م)

«فَإِذْ كَانَ يَسُوعُ قَدْ تَعِبَ مِنَ السَّفَرِ، جَلَسَ هكَذَا عَلَى الْبِئْرِ، وَكَانَ نَحْوَ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ. فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ مِنَ السَّامِرَةِ لِتَسْتَقِيَ مَاءً، فَقَالَ لَهَا يَسُوعُ: "أَعْطِينِي لأَشْرَبَ"»

(يو ٤: ٦، ٧)

مرقس

رسالة الفكر المسيحي للشباب والخُدَّام

السنة ٦٨ — مارس ٢٠٢٤م.

العدد ٦٥٢ — أمشير / برمهات ١٧٤٠ش.

المحتويات

الافتتاحية: كلمة قداسة البابا تواضروس الثاني:

«شَجِّعُوا صِغَارَ النُّفُوسِ» ١

مقال للأب متى المسكين:

تجربة المسيح ٦

من أقوال الآباء: الربُّ يسوع في البريَّة ١٢

بمناسبة الصوم المقدَّس: صلاة "أبانا" ١٥

بحث كتابي آبائي:

قدِّموا ذواتكم ذبيحةً للربِّ ٢٠

ادخل إلى العمق (٤٠):

أصدقاء الملكوت ٢٤

في الحياة الروحية:

جوهر الحياة الروحية (٣) ٢٩

من التراث الكنسي: معرفة الله (١٠) ٣٣

بحث تاريخي:

كنائس قبطية باسم القديس يوحنا المعمدان (٣) ٣٧

تقديم كتاب: الإيمان بالثالوث (٢) ٤١

حول العالم: أخبار متنوِّعة ٤٣

مقال بالإنجليزية:

LIVING WITH CHRIST, Vol. 4, 24-25 ..... ٤٨

من تعليم آباء الكنيسة

للقدِّيس يوحنا ذهبيّ الفم

لا مكانَ لليأس

(ترجمة النص اليوناني الآبائي المنشور في باطن الغلاف الأخير)

❁✝❁

[- هل للتائب أن يخلص؟

- نعم، بكلِّ تأكيد!

- وإنْ كنتُ قد قضَيتُ كلَّ حياتي في الخطايا

ثمَّ تبتُّ، فهل أَخلص؟

- بكلِّ تأكيد.

لو أنَّ الأمر كان يقتصر على توبتك وحدَها،

لكان يَحِقُّ لكَ أن تخاف.

لكنْ بما أنَّ التوبة ممتزجة بمحبة الله للبشر،

فتشجَّعْ، لأنَّ محبَّة الله للبشر لا حدَّ لها،

ولا يمكن للكلمات أن تشرح صلاحه.

فشرُّكَ مهما كان مقداره، فهو شرٌّ بشريٌّ،

أمَّا محبَّة الله للبشر فلا يمكن التَّعبير عنها،

فتشجَّعْ، لأنَّها تفوق شرَّك.

تفكَّرْ في شُعلةٍ قد سقطَت في بحرٍ،

فهل يمكن أن تُقاوِم أو تَطفو؟

فعلى غِرار الشُّعلة إزاء البحر،

هكذا يكون الشَّرُّ إزاء محبَّة الله للبشر.

بل إنَّ الأمر ليس هكذا، بل بالأحرى أعظم بكثير،

لأنَّ البحر رغم اتِّساعه فهو محدود؛

أمَّا محبَّة الله للبشر فهي غَير محدودة].

(عظة ٨ على التَّوبة)

مرقس: يصدرها دير القديس أنبا مقار – برية شيهيت

مكتب التوزيع والاشتراكات

القاهرة: ٢٨ شارع شبرا

تليفون: ٢٥٧٧٠٦١٤

٠١٢٨٢٧٥٢٣٢٤

٠١٠٢٣٨٢١٣٨١

الإسكندرية: ٨ شارع جرين - محرم بك

تليفون: ٠٣٤٩٥٢٧٤٠

تصفَّح مجلة مرقس في موقع الدير على الإنترنت:

www.stmacariusmonastery.org

عنوان البريد الإلكتروني:

stmarkcare@gmail.com

رئيس التحرير: الأب سرجيوس المقاري

تسديد الاشتراكات: بحوالة بريدية باسم:

مجلة مرقس على مكتب بريد شبرا

على عنوان: ص. ب ٣١ شبرا – القاهرة

أو على حساب شيكات بريدية رقم:

٠١٣٣١٠٠٠٠٣٠٨٥٨١٨

ويُحظر إرسال أية نقود داخل المظروف بالبريد

أو عن طريق خدمة أورانج وفودافون كاش الخاصة بأرقام المجلة

وتبدأ سنة الاشتراك في يناير من كل عام

ثمن النسخة اثنا عشر جنيهًا

الاشتراك السنوي: حدُّه الأدنى:

١٥٠ جنيهًا: داخل مصر (تسليم باليد)

٢٠٠ جنيه: داخل مصر (بالبريد)

٤٠٠ جنيه: في البلاد العربية

١٠٠ دولار أمريكي: في البلاد الأخرى

يُسدَّد عن طريق موقع الدير **على الإنترنت**

عنوان المراسلات: ص. ب ٣١ شبرا ـ القاهرة

مطبعة دير القديس أنبا مقار

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢١٧ / ٢٠٢٤

الترقيم الدولي: ISSN 2805-2382

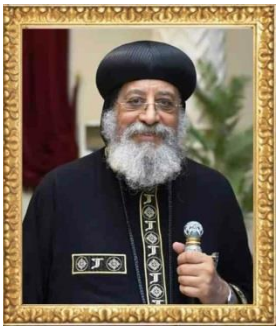

«شَجِّعُوا صِغَارَ النُّفُوسِ»

(١تس ٥: ١٤)

لصاحب القداسة

البابا تواضروس الثاني

الافتتاحية

وصايا قصيرة جدًا

✠✠✠

التشجيع فضيلةٌساميةٌ جدًّا، قد تتواجد في بعض الأشخاص وتغيب في البعض الآخر. فالبعض يستطيع مُلاحظة الشيء الجيِّد ويُشجِّع عليه، وهناك مَنْ يُلاحظ الشيء نصف الجيِّد، وأيضًا يُشجِّع عليه، أو يُشجِّع حتى على الأمور البسيطة جدًّا؛ لكن البعض الآخر، ليست من ثقافته التشجيع، فمهما رأى من أمورٍ جيِّدة وحسنة، لا يعرف أن يُشجِّع عليها.

أهمية التشجيع:

١. تقديم الدَّعم والثقة والأمل في النفوس، مثل: الوقود اللازم لإدارة مُحرِّك السيَّارة.

٢. تأثير الكلمات قويٌّ جدًّا، فيمكنها أن تبني أو أن تُدمِّر. فالكلمات التي تتفوَّه أنت بها لها قدرة، إمَّا أن تجرح أو أن تشفي: «الْمَوْتُ وَالْحَيَاةُ فِي يَدِ اللِّسَانِ، وَأَحِبَّاؤُهُ يَأْكُلُونَ ثَمَرَهُ» (أم ١٨: ٢١).

٣. كلمات التشجيع تجعل الناس يشعرون بالرِّضا والثقة بأنفسهم، وترفع الروح المعنوية، وتُطمئن النفس المُحتاجة. إنَّ كلمة واحدة قد تفتح أبوابًا، وقد تُغلِق أبوابًا.

مَنْ هم صغار النفوس؟

عندما نقرأ وصيَّة: «شَجِّعُوا صِغَارَ النُّفُوسِ. أَسْنِدُوا الضُّعَفَاءَ. تَأَنَّوْا عَلَى الْجَمِيعِ» (١تس ٥: ١٤)، فإنَّ أول سؤال يتبادر إلى أذهاننا: مَنْ هُمْ صغار النفوس؟ وسوف نتكلَّم هنا عن سبعة أنواع من صغار النفوس، وهم:

١ – صغار السِّن:

صغار السِّن أو الأطفال يُمكن تشجيعهم على أبسط الأشياء، وتشجيع الطفل الصغير هو احتياجٌ يساوي احتياجه للطعام والشَّراب، وقد يفوق هذا الاحتياج.

هناك قصة لطيفة عن طفلٍ بدأ أبوه يُعلّمه الصلاة. فقال الأب لابنه: ردِّد ورائي هذه الصلاة: "أبانا الذي في السَّموات". فردَّد الطفل هذه العبارة، ولكنه أخطأ في النُّطق، وقال: "أبانا الذي في السنوات". فكان أمام هذا الأب أحد اختيارين: إمَّا أن يُعنِّف ابنه على هذا الخطأ في النُّطق "السنوات"، أو أن يُلاطفه ويقول له: ردِّد ورائي مرَّةً أُخرى هذه العبارة، ويُردِّد الأب الجملة مرَّةً ثانية مع توضيح كلمة "السَّموات". وبالطبع كان الاختيار الأفضل هو تشجيع الطفل على النُّطق السليم عن طريق ترديد العبارة مرَّاتٍ ومرَّات حتى يستطيع الابن النُّطق بطريقةٍ سليمة، وذلك بدون أيِّ نوعٍ من التوبيخ أو الانتهار.

٢ – صِغار المكان:

يُسمُّونهم علماء الاجتماع "الذين بلا صوت"، أو "المُهمَّشين"، مثل: الفقراء والمُعدمين أو كما يُطلق عليهم أحيانًا، في كُتُب الأمم المُتَّحدة: "الذين يعيشون على حافة الحياة".

٣ – صِغار القامة النفسيَّة:

ليس المقصود هنا القامة الجسديَّة، فقد يكون إنسانٌ له قامة جسديَّة عالية، ولكن قامته النفسيَّة صغيرةٌ جدًّا!! ويظهر ذلك في سرعة الغضب، أو الحساسيَّة العالية من أبسط الكلمات. وصِغار القامة النفسيَّة نستطيع أن نصفهم بأنهم ذوو نفسيَّاتٍ هشَّة.

٤ – صِغار القامة الجسديَّة:

بمعنى الذين صحَّتهم الجسديَّة ليست في تمامها، مثل ذوي الاحتياجات الخاصة، فهم يحتاجون إلى تشجيعٍ خاص. وقد رأيتُ منذ فترةٍ قريبة فيلمًا عن فتاة مُعاقة إعاقة كاملة، وقد بدأت تتحرَّك بضع خطواتٍ قليلة بمُساعدة أجهزة كثيرة، فقام الجميع بالتصفيق لها وتشجيعها. ونتيجة لذلك، وجدوها ترفع يديها لتحيتهم، وكان هذا بمثابة إنجازٍ عظيم، باعتبار أنَّ هذه الفتاة كانت لا تستطيع تحريك يديها قبل هذا الوقت، وهذا ما يفعله التشجيع.

٥ – صِغار الرُّوح:

هم الذين لهم إيمانٌ ضعيف، أو إيمانٌ مُهتز. ومثل هذا الإنسان الصغير الروح قد يتناسَى كثيرًا أنَّ الله هو الذي يُدبِّر هذه الحياة، وأنه هو صاحب هذا الكون، وهو ضابط الكل. لذلك إنْ حدث لمثل هذا الإنسان أي مكروه، فإنه يهتز نفسيًّا جدًّا، وهذا الاهتزاز النفسي قد يصل أحيانًا إلى ترك الإيمان.

٦ – صِغار العزيمة:

مثل الشخص قليل الحيلة، ويندرج تحت هذا النوع الإنسان الواقع في الخطية، ولا يستطيع القيام منها حتى إن تقدَّم أحدٌ لمُساعدته.

وصِغار العزيمة، مثل الخُطاة والساقطين، يحتاجون منَّا إلى نوعٍ من التقوية، لذلك نُصلِّي في القدَّاس ونقول: "الساقطين أقمهم، والقيام ثبِّتهم". فالإنسان الخاطئ لا يجب إدانته، لأنه هكذا علَّمنا السيِّد المسيح حين قال: «لأَنِّي لَمْ آتِ لأَدْعُوَ أَبْرَارًا بَلْ خُطَاةً إِلَى التَّوْبَةِ» (مت ٩: ١٣)، وكأنه يقول: "لقد أتيتُ إلى العالم لكي ما آخُذ بيد الخاطئ". ومَنْ يقرأ في سِفْر إشعياء النبي، يجد هذا التعبير الجميل: «بَلْ يَدُهُ مَمْدُودَةٌ بَعْدُ!» (إش ١٠: ٤)، وهذه الآية تُعتَبَر نبوَّة عن الصليب. فيدا السيِّد المسيح ما زالتا ممدودتين على الصليب، لكي ما تُقيما كل خاطئ أو ساقط.

٧ – صِغار الإمكانيات:

أي الشخص الذي ليس لديه إمكانيات عقليَّة، ماديَّة، عِلْميَّة، نفسيَّة ... إلخ.

❖ هذه هي سبعة أنواع لمَنْ تُسمِّيهم الآية: "صِغار النفوس"، وهم مُتواجدون في كلِّ مُجتمع. وقد نتقابل معهم في الخدمة، في العمل، في البيت ... إلخ، وهم يعيشون مع بعض الأُسَر. وقد يكون صغير النَّفْس هذا هو الزوج أو الزوجة، أو الأخ أو الابن أو الابنة أو ... إلخ. لذلك أوصانا الكتاب المقدَّس أنْ نعيش وصيَّة: «شَجِّعُوا صِغَارَ النُّفُوسِ».

مشاهد من الكتاب المقدَّس عن التشجيع:

الله مع أولاده:

١. نحميا النبي:

نحميا كان ساقيًا للملك أرتحشستا، كما كان نبيًّا ومُصلِحًا وقائدًا في جيله، ورغم مركزه المرموق وقتها، ورغم وجوده في السَّبي في منطقة بابل (العراق حاليًّا)، إلَّا أنَّه عندما سمع أنَّ بلاده أورشليم أسوارها مهدومة وأبوابها محروقة بالنار، فضَّل أن يترك القصر ويذهب إلى شعبه ويسندهم ويُشجِّعهم في بناء سور المدينة. كان يقوم بتوزيع المسؤولية لكلِّ واحد على حسب مواهبه وقدراته، ويدفع الجميع للعمل الجماعي، وقال هذا التعبير الجميل والمُشجِّع: «هَلُمَّ فَنَبْنِي سُورَ أُورُشَلِيمَ وَلَا نَكُونُ بَعْدُ عَارًا» (نح ٢: ١٧).

ونُلاحظ هنا، أنَّه وَضَعَ عبارة تحفيز وهي: «وَلَا نَكُونُ بَعْدُ عَارًا» لكي ما تكون وسيلة للتشجيع على العمل والبناء. ثم قال هذه الآية الجميلة التي نعرفها ونحفظها جميعًا: «إِنَّ إِلهَ السَّمَاءِ يُعْطِينَا النَّجَاحَ، وَنَحْنُ عَبِيدُهُ نَقُومُ وَنَبْنِي» (نح ٢: ٢٠).

وفي هذه الآية نجد موسيقى رائعة، فقد بدأ من إله السماء أي من فوق، وبدأ أيضًا بالنجاح، وفي النهاية ذَكَرَ العمل، وكأنه أراد أن يقول: "إنِّي على ثقةٍ تامة «إِنَّ إِلهَ السَّمَاءِ يُعْطِينَا النَّجَاحَ» مكافأة لنا على اهتمامنا بأورشليم، لذلك يجب علينا مقابلة هذه المُكافأة العظيمة بالبناء والعمل". وكأنه يُشجِّع ويُحفِّز نفسه، فيصرخ في صلاته قائلًا: «وَأَعْطِ النَّجَاحَ الْيَوْمَ لِعَبْدِكَ» (نح ١: ١١). ورغم الإحباطات التي واجهته وواجهت الشعب من الأعداء، إلَّا أنَّه كان يُحفِّزهم ويُشجِّعهم قائلًا: «لاَ تَخَافُوهُمْ بَلِ اذْكُرُوا السَّيِّدَ الْعَظِيمَ الْمَرْهُوبَ» (نح ٤: ١٤).

٢. موسى النبي:

عندما دعاه الله لقيادة شعبه، «فَقَالَ مُوسَى لِلرَّبِّ: "اسْتَمِعْ أَيُّهَا السَّيِّدُ، لَسْتُ أَنَا صَاحِبَ كَلاَمٍ مُنْذُ أَمْسِ وَلَا أَوَّلِ مِنْ أَمْسِ، وَلَا مِنْ حِينَ كَلَّمْتَ عَبْدَكَ، بَلْ أَنَا ثَقِيلُ الْفَمِ وَاللِّسَانِ"» (خر ٤: ١٠). وهنا بدأ الله يُشجِّعه وقال له: «مَنْ صَنَعَ لِلإِنْسَانِ فَمًا؟ أَوْ مَنْ يَصْنَعُ أَخْرَسَ أَوْ أَصَمَّ أَوْ بَصِيرًا أَوْ أَعْمَى؟ أَمَا هُوَ أَنَا الرَّبُّ؟ فَالآنَ اذْهَبْ وَأَنَا أَكُونُ مَعَ فَمِكَ وَأُعَلِّمُكَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ» (خر ٤: ١١ – ١٢).

ومع كلِّ هذا الكلام المُشجِّع، إلَّا أنَّ موسى اعتذر ثانيةً للرب، فقال له الرب: سأُرسِل معك هارون أخاك «أَلَيْسَ هَارُونُ اللَّاوِيُّ أَخَاكَ؟ أَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ هُوَ يَتَكَلَّمُ، وَأَيْضًا هَا هُوَ خَارِجٌ لاسْتِقْبَالِكَ فَحِينَمَا يَرَاكَ يَفْرَحُ بِقَلْبِهِ، فَتُكَلِّمُهُ وَتَضَعُ الْكَلِمَاتِ فِي فَمِهِ، وَأَنَا أَكُونُ مَعَ فَمِكَ وَمَعَ فَمِهِ، وَأُعْلِمُكُمَا مَاذَا تَصْنَعَانِ» (خر ٤: ١٤ – ١٥).

وهكذا استمرَّ الله يُشجِّع موسى النبي، لكي ما يقود الشعب ويُخرِج بني إسرائيل من أرض مصر.

٣. يشوع بن نون:

كان يشوع مشغولًا بالحرب مع أريحا، خاصة أنها كانت مدينة حصينة، وإن هَزَمَته لا يقدر أن يُحارب مدنًا أُخرى، كما إنَّ الشعب لا يقدر أن يتراجع، فأصبح محصورًا بين نهر الأردن من خلفه وأريحا أمامه. حينئذ تدخَّل الله فأرسل رئيس ملائكته أو ظهر هو بنفسه كما يرى الآباء.

«وَحَدَثَ لَمَّا كَانَ يَشُوعُ عِنْدَ أَرِيحَا أَنَّهُ رَفَعَ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ، وَإِذَا بِرَجُلٍ وَاقِفٍ قُبَالَتَهُ، وَسَيْفُهُ

مَسْلُولٌ بِيَدِهِ. فَسَارَ يَشُوعُ إِلَيْهِ وَقَالَ لَهُ: "هَلْ لَنَا أَنْتَ أَوْ لأَعْدَائِنَا؟" فَقَالَ: "كَلَّا، بَلِ أَنَا رَئِيسُ جُنْدِ الرَّبِّ. الآنَ أَتَيْتُ". فَسَقَطَ يَشُوعُ عَلَى وَجْهِهِ إِلَى الأَرْضِ وَسَجَدَ، وَقَالَ لَهُ: "بِمَاذَا يُكَلِّمُ سَيِّدِي عَبْدَهُ؟"» (يش ٥: ١٣ – ١٤).

وقال الرب ليشوع: «انْظُرْ. قَدْ دَفَعْتُ بِيَدِكَ أَرِيحَا وَمَلِكَهَا جَبَابِرَةَ الْبَأْسِ» (يش ٦: ٢).

٤. السيِّد المسيح:

عندما ندرس العهد الجديد كاملًا، ونتعمَّق في تفاصيل مُقابلات السيِّد المسيح ومُعجزاته التي صنعها، نجده هو المُشجِّع الأعظم.

قيل عنه: «قَصَبَةً مَرْضُوضَةً لَا يَقْصِفُ، وَفَتِيلَةً مُدَخِّنَةً لَا يُطْفِئُ، حَتَّى يُخْرِجَ الْحَقَّ إِلَى النُّصْرَةِ» (مت ١٢: ٢٠).

وهو يُشجِّع الأولاد ويقول عنهم عندما أتى إليه الأولاد الصِّغار وانتهرهم التلاميذ، قال لهم: «اُنْظُرُوا، لَا تَحْتَقِرُوا أَحَدَ هؤُلاَءِ الصِّغَارِ، لأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ مَلاَئِكَتَهُمْ فِي السَّمَوَاتِ كُلَّ حِينٍ يَنْظُرُونَ وَجْهَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ» (مت ١٨: ١٠).

وأيضًا قال لهم: «دَعُوا الأَوْلاَدَ يَأْتُونَ إِلَيَّ وَلَا تَمْنَعُوهُمْ لأَنَّ لِمِثْلِ هؤُلاَءِ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ» (مت ١٩: ١٤؛ مر ١٠: ١٤ – ١٦؛ لو ١٨: ١٦ – ١٧).

كذلك كانت له طريقته المُشجِّعه في علاج الخطايا، وهكذا فعل عندما تقابَل مع المرأة السامرية، فقال لها: «حَسَنًا قُلْتِ لَيْسَ لِي زَوْجٌ» (يو ٤: ١٧)، فلم يُعاملها بخطئها وخطيتها.

ختامًا:

إنَّ وسائل التَّشجيع عديدة، منها: الابتسامة وكلمات المديح والتصفيق، وتقديم شهادة التقدير، والحضن والقُبلة، وتقديم هدية، ووجود مُرافق مع الإنسان، والتحدُّث بإعجاب عن الآخرين في غيابهم، وغير ذلك الكثير.

وقصة اكتشاف البابا ألكسندروس (البطريرك الـ ١٩) للطفل أثناسيوس، الذي أخذه وشجَّعه وعلَّمه وتلمذه حتى صار فيما بعد البابا أثناسيوس الرسولي (البطريرك الـ ٢٠)، هي قصة توضِّح معنى التَّشجيع وكيف بالتَّشجيع يصير الصغير كبيرًا!

البابا تواضروس الثاني

مقال للأب متى المسكين

تجربة المسيح[1]

«ثُمَّ أُصْعِدَ يَسُوعُ إِلَى الْبَرِّيَّةِ مِنَ الرُّوحِ لِيُجَرَّبَ مِنْ إِبْلِيسَ».

يلزم أن يتنبَّه القارئ إلى تداعي المواقف، فقد سمعنا في (مت ٣: ١٦، ١٧) أنَّ الروح القدس نزل على الرب مثل حمامة، وها الآن نرى الروح يُصعِده إلى البريَّة ليتجرَّب من إبليس. وسمعنا أيضًا الصوت من السماء: «**هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ** الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ». وها نحن سنسمع وشيكًا كيف التقط إبليس هذا الصوت ليقول له: «**إِنْ كُنْتَ "أنتَ" ابْنَ اللهِ** فَقُلْ أَنْ تَصِيرَ هذِهِ الْحِجَارَةُ خُبْزًا»، وكأنَّ التجربة داخلة أساسًا في مهام مسحة الروح القدس التي تلقَّاها من السماء كعملٍ كهنوتي تفوح منه رائحة الفداء. والصوت الذي أعلن بنوَّته للملك السمائي الأعظم يعضده في بواكير حروبه لحماية ملكوته المُزمع أن يكرز به.

وقبل أن ندخل إلى واقع التجربة، يهمُّنا أن نوضِّح أنَّ المسيح بوضعه البشري مُجرَّبٌ مثلنا في كلِّ شيء ما خلا الخطية وحدها (عب ٤: ١٥)، وبوضعه الإلهي كابن الله يسود على التجربة كسيادته على الموت. فكما دخل الموت ولم يُمسَك فيه، فقام دائسًا الموت؛ هكذا دخل التجربة وساد عليها، فكسر شوكة الشيطان. فكان يهمُّ المسيح والروح أن يتجرَّب المسيح من الشيطان ليكسر قوَّة الخطية ويربط الشيطان.

+ «لأَنْ لَيْسَ لَنَا رَئِيسُ كَهَنَةٍ غَيْرَ قَادِرٍ أَنْ يَرْثِيَ لِضَعَفَاتِنَا، بَلْ مُجَرَّبٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِثْلُنَا، بِلاَ خَطِيَّةٍ» (عب ٤: ١٥).

وهنا يهمُّنا تفسير هذه الآية لأنها موضوع هذا الأصحاح، فالفارق الوحيد بين تجربتنا وتجربة المسيح، أنه يتجرَّب مثلنا تمامًا، ولكن دون أن تدنو الخطية منه. بمعنى أننا حينما نتجرَّب من الشيطان، فالتجربة تأتي علينا دخيلة، ولكن يُقابلها من الداخل ضعف بشري من هوى وشهوات وغرائز وميول تتجاوب مع تجربة الشيطان، فتصبح تجربة الشيطان قابلة أن تصير فينا خطية إذا مِلْنا إليها. هنا المسيح لا يُشاركنا هذا الضعف وهذه الميول التي تنجذب للتجربة لتصبح

(١) عن كتاب: "الإنجيل بحسب القدِّيس متى – دراسة وتفسير وشرح"، للأب متى المسكين، الطبعة الخامسة: ٢٠١٥، من ص ١٨٦ – ١٩٣.

التجربة مدخلًا للخطية. لهذا، بوعيٍ روحي عميق، تقول رسالة العبرانيين: إنه «مُجَرَّبٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِثْلُنَا، **بِلاَ خَطِيَّةٍ**»!!

٤: ٢ **«فَبَعْدَ مَا صَامَ أَرْبَعِينَ نَهَارًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، جَاعَ أَخِيرًا».**

هنا يذكر الإنجيل أنَّ المسيح صام أربعين يومًا، وهذا يُذكِّرنا بصوم موسى على **جبل سيناء:** «وَكَانَ هُنَاكَ عِنْدَ الرَّبِّ أَرْبَعِينَ نَهَارًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، لَمْ يَأْكُلْ خُبْزًا وَلَمْ يَشْرَبْ مَاءً. فَكَتَبَ عَلَى اللَّوْحَيْنِ كَلِمَاتِ الْعَهْدِ، الْكَلِمَاتِ الْعَشَرَ» (خر ٣٤:٢٨).

كذلك إيليا النبي: «فَقَامَ وَأَكَلَ وَشَرِبَ، وَسَارَ بِقُوَّةِ تِلْكَ الأَكْلَةِ أَرْبَعِينَ نَهَارًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً إِلَى **جَبَلِ اللهِ حُورِيبَ**» (١مل ١٩: ٨).

وفي هذين المَثَلَيْن، نجد الأول مُشرِّعًا صام ليتلقَّى شريعة الله، والآخر نبيًّا صام ليعرف من الله ماذا يعمل وماذا يقول! ويكاد هذا يُشبه الوضع الذي سيدخله المسيح كمشرِّع للعهد الجديد وكنبي ومُعلِّم. هكذا أحسَّ المسيح بالروح أن يصوم في خلوته مع الله (الآب) ليتبيَّن مشروعه الكبير. ويبدو أنَّ إحساسه بالجوع في الآخِر، كان فتحًا للباب للعدوِّ لكي يؤدِّي مهمته الخاسرة، لهذا استطاع الشيطان أن يدنو منه ليقوم بتجربته.

٤: ٣ **«فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ الْمُجَرِّبُ وَقَالَ لَهُ: إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ فَقُلْ أَنْ تَصِيرَ هذِهِ الْحِجَارَةُ خُبْزًا».**

هنا الشيطان لا يُنكر على المسيح أن يكون هو ابن الله، بل يتحدَّاه أنْ يُثبِت ذلك. أمَّا أسلوب الشيطان في التجربة، فهو أنه يُقدِّم المشورة الخبيثة التي تحمل لصاحبها فخَّ الخطيَّة: إمَّا كبرياءً أو عصيانًا أو نسيان الله أو الشكّ في محبة الله وقدرته أو وعوده. وعلى أيِّ وجه، إذا سقط الإنسان، يبدأ الشيطان يشتكي الخاطئ ويُزلزل ضميره بالحزن اليائس ووساوس ضياع الأمل من خلاصه، ويُضخِّم له الخطية بأنها لا تُغفر ولا رجاء له في الحياة بعد. ومن أسوأ تجارب الشيطان للإنسان، تجربة الاستمرار في الشكاية ضده بعد سقوطه في الخطية فهي سلاحه القاتل.

لم يتراجع الشيطان عن حقِّه في تجربة المسيح، لأنَّ الذي فتح شهيته في هذا هو إسقاطه لآدم الأول وهو في حضن الله. فطالما الابن نزل إلى العالم، أصبح من حقِّ الشيطان كرئيس لهذا العالم أن يُصارعه. ويُلاحَظ أنَّ سقطة آدم الأول كانت عن طريق شهوة البطن والعيون، فالتجربة نجحت على آدم الأول، فلماذا لا يُجرِّبها مع آدم الأخير (١كو ١٥: ٤٥)!

ولكن لا يعلم الشيطان أنَّ بسبب سقطة آدم الأول، جاء آدم الثاني ليُخلِّص الإنسان من سقطته ويرفع سبب السقوط، حتى لا يعود الإنسان ــ طالما هو في طاعة الله ــ للسقوط: «نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَنْ وُلِدَ مِنَ اللهِ لَا يُخْطِئُ» (١يو ٥: ١٨). ولكي يضمن المسيح عدم سقوط الإنسان «دَانَ الْخَطِيَّةَ فِي الْجَسَدِ» (رو ٨: ٣)، وألغى سلطان الموت بموته، ومنح الإنسان الحياة الأبديَّة بقيامته. فإنسان المسيح لا تسود عليه الخطيَّة والموت بعد. وكان أول أعمال المسيح في منهج الخلاص هذا، هو أن يدخل التجربة نائبًا عن البشرية كلها كآدم الأول، ويكسر سلاح الشيطان، ويوقِف حركته، تمهيدًا لعزله عن الخليقة الجديدة.

كانت التجربة المُصوَّبة على المسيح في «إِنْ كُنْتَ "أنتَ" ابْنَ اللهِ»، هي زعزعة الثقة بين الآب والابن، ذلك بتحريض الابن أن يتصرَّف لا بأمر الآب بل بأمره هو كنوعٍ من الاستيلاء على الشخصية؛ علمًا بأنَّ الشيطان يعلم أنَّ المسيح الواقف أمامه هو رجل معجزات، وما أبسط أن يحوِّل الحجارة إلى خبز. ألم يسمع من المعمدان أنَّ الله قادرٌ أن يجعل من هذه الحجارة عينها أولادًا لإبراهيم؟ فبالأقل تصير الحجارة خبزًا يسدُّ به رَمَقه! تجربة آدم بأَكْل الثمرة المُحرَّمة لم يكن لها لزوم أو معنى، فالشجر كله أمامه، ولكن هنا الجوع يضغط على طلب الأكل، أيّ أكل، والمكان قفر، ولكي يحصل على طعام يحتاج إلى سَفَر يوم وهو مُنهَك القوى. فالتجربة أخذت أشدَّ صور الحَبْك، ولكن المسيح لم ينثنِ!

٤: ٤ **«فَأَجَابَ وَقَالَ: "مَكْتُوبٌ: لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الإِنْسَانُ، بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ اللهِ"».**

أشهر المسيح هنا في وجه الشيطان كلمة الله! وظلَّ على هذا المستوى في الثلاث تجارب (٤)، (٧)، (١٠). واستحسن المسيح سِفْر التثنية ليلتقط منه أسلحته للردِّ على الشيطان، وكأنه يُعطينا درسه الأول في حفظ الأسفار المقدَّسة للردِّ على تجارب العدو. فقد استند على الآية (تث ٨: ٣، ٤): «فَأَذَلَّكَ وَأَجَاعَكَ وَأَطْعَمَكَ الْمَنَّ الَّذِي لَمْ تَكُنْ تَعْرِفُهُ وَلَا عَرَفَهُ آبَاؤُكَ، لِكَيْ يُعَلِّمَكَ أَنَّهُ لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الإِنْسَانُ، بَلْ بِكُلِّ مَا يَخْرُجُ مِنْ فَمِ الرَّبِّ يَحْيَا الإِنْسَانُ. ثِيَابُكَ لَمْ تَبْلَ عَلَيْكَ، وَرِجْلُكَ لَمْ تَتَوَرَّمْ هذِهِ الأَرْبَعِينَ سَنَةً!».

٤: ٥، ٦ **«ثُمَّ أَخَذَهُ إِبْلِيسُ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُقَدَّسَةِ، وَأَوْقَفَهُ عَلَى جَنَاحِ الْهَيْكَلِ، وَقَالَ لَهُ: "إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ فَاطْرَحْ نَفْسَكَ إِلَى أَسْفَلُ، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: أَنَّهُ يُوصِي مَلاَئِكَتَهُ بِكَ، فَعَلَى أَيَادِيهِمْ يَحْمِلُونَكَ لِكَيْ لَا تَصْدِمَ بِحَجَرٍ رِجْلَكَ"».**

أمَّا كيف أخذه الشيطان إلى المدينة المقدَّسة وأوقفه على جناح الهيكل، فليس من الضروري أن يكون قد انتقل من مكانه، وإنَّما تجسَّد المنظر المعقول حتى أنَّه يكون طبق الأصل من الحقيقة. ويُقال إنَّ من هذا المكان طرح اليهود يعقوب أخا الرب[٢] وقتلوه، فهو المكان المُحبَّب للشيطان، حيث صوَّر للمسيح كيف أن نزوله في الهواء من هذا العلوِّ الشاهق، سيكون معجزة تُثبِت أنه ابن الله وتُقْنِع الناس للإيمان به. ولأن المسيح ردَّ على الشيطان في التجربة السابقة أنه "يحيا بكلِّ كلمة تخرج من فم الله"؛ فهنا سيُظهِر للناس مدى ثقته في حفظ الله والملائكة له كابن الله. على أنَّ الشيطان التقط من فم المسيح كلمة "مكتوب"، فردَّ بها على المسيح هنا في التجربة الثانية: «لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ». فإن استخدم المسيح الأسفار، فلا مانع أن يستخدم الشيطان الأسفار. وقد أخذها الشيطان من المزامير التي تُرعبه: «لأَنَّهُ يُوصِي مَلاَئِكَتَهُ بِكَ لِكَيْ يَحْفَظُوكَ فِي كُلِّ طُرُقِكَ. عَلَى الأَيْدِي يَحْمِلُونَكَ لِئَلَّا تَصْدِمَ بِحَجَرٍ رِجْلَكَ» (مز ٩١: ١١، ١٢). وشتَّان بين فكر الشيطان لإظهار المسيَّا وتكميل عمله والإيمان به بالمظاهر الخلَّابة، وبين فكر المسيح وتدبير الله بأن يكون الصليب والموت هو الطريق المؤدِّي للقيامة ولاستعلان ابن الله والإيمان به.

٤:٧ «قَالَ لَهُ يَسُوعُ: "مَكْتُوبٌ أَيْضًا: لَا تُجَرِّبِ الرَّبَّ إِلهَكَ"».

هنا اقتبس المسيح من سِفْر التثنية أيضًا (٦: ١٦)، حينما قام بنو إسرائيل بثورة ضد موسى وهارون بسبب العطش: «لَا تُجَرِّبُوا الرَّبَّ إِلهَكُمْ كَمَا جَرَّبْتُمُوهُ فِي مَسَّةَ». الحيلة الجهنميَّة هنا التي قدَّمها الشيطان هي محاولة إجبار الله لتقديم العناية لأولاده، فإن كان المسيح هو حقًّا ابن الله، فالله حتمًا سيتولَّى العناية به لو ألقَى بنفسه من فوق جناح الهيكل. هذا هو تصوُّر الشيطان الذي أراد أن يفرضه على المسيح بحجَّة أنه ابن الله. فكان ردُّ المسيح أنَّ هذا يُحسَب تجربة موجَّهة لله: هل هو موجود أم لا؟ هل هو يُحقِّق وعده الذي سبق أن تنبَّأ به المزمور بإرسال ملائكة لحفظه أم لا؟ ففي هذا المفهوم أولًا تشكيك في الإيمان بوعود الله، وبالأكثر تجربة الله: هل يسمع أو لا يسمع؟ وليس مُصرَّحًا للإنسان أن يختبر الله أو يُجرِّبه!

٤: ٨، ٩ «ثُمَّ أَخَذَهُ أَيْضًا إِبْلِيسُ إِلَى جَبَلٍ عَالٍ جِدًّا، وَأَرَاهُ جَمِيعَ مَمَالِكَ الْعَالَمِ وَمَجْدَهَا، وَقَالَ لَهُ: "أُعْطِيكَ هذِهِ جَمِيعَهَا إِنْ خَرَرْتَ وَسَجَدْتَ لِي"».

وهذه الحركة أيضًا هي بالمنظر المعقول، أي يراها الإنسان كما هي حقيقة، ولكن بالمنظر

(2) Eusebius, *Eccl. Hist.* II. xxxiii.

المعقول الذي يكشف المستورات دون حركة الجسد. وهذه هي إحدى مواهب الإنسان التي تكون نشطة عند بعض الناس أو يستخدمها الله لتوضيح الخفيات لذهن الإنسان، حيث واسطة الرؤيا لا تكون العين بل العقل، لأنَّ العين لا ترى شيئًا إذا ارتفع الإنسان إلى مسافةٍ عالية، فالضباب وبخار السماء والسُّحُب المُتكاثفة لا تُعطِي فرصة للعين أن ترى شيئًا.

+ «كَانَتْ عَلَيَّ يَدُ الرَّبِّ وَأَتَى بِي إِلَى هُنَاكَ. فِي رُؤَى اللهِ أَتَى بِي إِلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ وَوَضَعَنِي عَلَى جَبَلٍ عَالٍ جِدًّا، عَلَيْهِ كَبِنَاءِ مَدِينَةٍ ...» (حز ٤٠: ١و٢)

هكذا تُحسَب الرؤيا هنا حقيقة كاشفة بقوَّة فائقة. فالمسيح في التجربة كان يَرَى بالفعل ممالك العالم، لأنه يحمل قوَّةً فائقة على الرؤية العقليَّة توضِّح حقائق الأمور. والذي يُثبت أنها رؤية بالمنظر المعقول، بمعنى أنَّ العقل يكون نشطًا وواعيًّا، قول الآية إنه أراه مجدها، وهنا المجد لا يُرَى كشيء، ولكن كموضوع يحتاج إلى خيال الفكر ليُحيط به وليس مجرَّد عين تُبصِر. ثم تقول الآية المُقابلة في إنجيل القديس لوقا: إنَّ هذا حدث في لحظةٍ من الزمان، التي تكشف عن اختطاف العقل Rapture. ثم بعدها يقول له: "هذه كلها أُعطيك ثمنًا لسجدةٍ واحدة أمامي"، لأنها في واقعها الدنيوي هي في حوزة الشيطان رئيس هذا العالم، «لأَنَّهُ إِلَيَّ قَدْ دُفِعَ، وَأَنَا أُعْطِيهِ لِمَنْ أُرِيدُ» (لو ٤: ٦).

فالمسيح لم يُكذِّب الشيطان ولا راجعه فيما في سلطانه. ولكي نُخفِّض من غلواء الشيطان وادِّعاء سلطانه على كلِّ ممالك الدُّنيا، يلزم أن يعرف القارئ أنَّ هذا صحيح. إنما المقصود العالم والأُمم والناس والمجد الكاذب، مجد الخطية والغش والخِداع الذي يقع فيه الإنسان، ويصبح فعلًا أسيرًا للشيطان يتكلَّم بفمه ويعمل بمشورته وينتهي إلى الهلاك. فالشيطان يتكلَّم هنا عن الوجه الفاسد من العالم الذي يتغيَّر إلى سيء ثم أسوأ ثم إلى بلاء وخراب، وينتهي إلى غير وجود. فهو الجزء الفاني من العالم الذي لا يوجد فيه حقٌّ ولا نعمة ولا فرح حقيقي، الذي سيزول حتمًا. والشيطان يملك على العالم بالعقل، ولكن بواسطة الرؤساء الذين يُطيعونه في القسوة والظلم والغش والسرقة وإزهاق أرواح الناس. ولقد ملك في أيامنا هذه بواسطة لينين وستالين وهتلر وموسوليني، وغيرهم من الذين ملكوا على رقاب الناس، ثم سقطوا وانتهوا بعد أن قتلوا الملايين من الناس وخرَّبوا البلاد والذِّمم.

وفي المقابل، يُدير الله العالم بالحبِّ والحكمة والنعمة، بواسطة أولاده في الصلاح والتقوى ومخافة الله، لخير البشرية ونموِّها وازدياد روح الحرية والحقِّ والسلام. وبقدر

طاعة الناس لصوت الحقّ والسلام والمحبة، ينمو العالم في الصلاح ويبقى ويدوم.

٤: ١٠ **«حِينَئِذٍ قَالَ لَهُ يَسُوعُ: "اذْهَبْ يَا شَيْطَانُ! لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: لِلرَّبِّ إِلهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ"».**

وبهذا الاختيار، سلَّم المسيح المشيئة للآب السماوي، وقَبِل البديل عن الذي وضعه له العدو، وهو الآلام والصَّلْب والموت، والتي بها أَخَذ النُّصرة الأخيرة على الشيطان والخطية والموت. لقد واجه المسيح تكتُّل قُوَى الشرِّ معًا على الأرض وفي السماء: **في الأرض،** بواسطة الذين سلَّموا حياتهم وضمائرهم ووظائفهم لإرادة الشيطان؛ **وفي السماء،** الشيطان وكل أعوانه وجنوده. وكانت حقًّا ساعة الظلمة: «هذِهِ سَاعَتُكُمْ وَسُلْطَانُ الظُّلْمَةِ» (لو ٢٢: ٥٣). ولكنه غلب الشيطان وأعوان الشيطان وعالم الظلمة، وقام من الموت بسلطانه وسلطان الآب، وارتفع إلى أعلى السموات، ووَضَع الشيطان وكل ما له تحت موطئ قدميه:

+ «... وَمَا هِيَ عَظَمَةُ قُدْرَتِهِ الْفَائِقَةُ نَحْوَنَا نَحْنُ الْمُؤْمِنِينَ، حَسَبَ عَمَلِ شِدَّةِ قُوَّتِهِ الَّذِي عَمِلَهُ فِي الْمَسِيحِ، إِذْ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ، وَأَجْلَسَهُ عَنْ يَمِينِهِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ، فَوْقَ كُلِّ رِيَاسَةٍ وَسُلْطَانٍ وَقُوَّةٍ وَسِيَادَةٍ، وَكُلِّ اسْمٍ يُسَمَّى لَيْسَ فِي هذَا الدَّهْرِ فَقَطْ بَلْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ أَيْضًا، وَأَخْضَعَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ ...» (أف ١: ١٩-٢٢).

من هذا نفهم: لماذا قال الشيطان للمسيح إنه يمكن أن يُسلِّمه سلطانه على العالَم كُلِّه لو هو سجد له؟ لأنه يعلم أنَّ سلطانه كله مآله إلى الفناء، وأنَّ السيادة معقودة للمسيح فوق كلِّ سيادة. على أنَّ المسيح كان وقت التجربة متفوِّقًا على الشيطان، إذ لم يكن له خطية واحدة ولا وُجِدَ في فمه غش، فكانت وقفته أمام الشيطان وقفة التحدِّي والاستظهار، إذ لم يكن للشيطان في المسيح شيء ولا مأخذ: «لأَنَّ رَئِيسَ هذَا الْعَالَمِ يَأْتِي وَلَيْسَ لَهُ فِيَّ شَيْءٌ» (يو ١٤: ٣٠). لهذا إزاء تسكُّع الشيطان بطلبه من المسيح أنْ يسجُد له، كان ردُّ المسيح: أن **«اذْهَبْ يَا شَيْطَانُ»** بصيغة الآمِر الناهي. فانصاع الشيطان وذهب وترك المسيح **«إِلَى حِينٍ»** (لو ٤: ١٣).

٤:١١ **«ثُمَّ تَرَكَهُ إِبْلِيسُ، وَإِذَا مَلاَئِكَةٌ قَدْ جَاءَتْ فَصَارَتْ تَخْدِمُهُ».**

لقد رَفَض المسيح مشورة الشيطان أن يُلقي بنفسه من فوق جناح الهيكل، بحجَّة أنَّه مكتوبٌ أنَّ الله أوصى ملائكته أنْ يحملوه ويخدموا سلامته. فكانت النتيجة، بعد أن غلب المسيح كلَّ مشورات الشيطان، أن جاءت ملائكة تخدمه.

الربُّ يسوع في البريَّة

للقدِّيس أمبروسيوس أسقف ميلان[1]

(٣٣٩ – ٣٩٧م)

حقًّا إنَّ الربَّ يسوع، بصومه ووحدته، يعضدنا ضد مُجاذبات الشهوات. فربنا كلنا قد احتمل أن يُجرَّب من الشيطان، لكي ما نتعلَّم نحن جميعًا فيه كيف نظفر به ... لقد جاع الربُّ في البريَّة حتى ما يُكفِّر بصومه عن الطعام الذي ذاقه الإنسان الأول بعصيانه.

لقد كانت أفضل وسيلة لكسر فخاخ الشيطان، هي تقديم طُعْمٍ مناسب له. وهكذا إذ يأتي لينقضَّ على الفريسة، يقع هو نفسه في شِبَاكها، وبذا يمكن أن نقول مع النبي: «حَفَرُوا قُدَّامِي حُفْرَةً. سَقَطُوا فِي وَسَطِهَا» (مز ٥٦: ٧). وماذا عساه أن يكون هذا الطُّعْم سوى الجسد؟ لذا لَبِسَ الرب يسوع جسدًا ضعيفًا وقابلًا للموت ليُصلَب به «مِنْ ضَعْفٍ» (٢كو ١٣: ٤) ... لنتبع، إذن، آثار خطوات الرب، ونحن نَعْبُر من البريَّة إلى الفردوس، ولننظر أيَّة طُرُق نسلكها. فالآن ها هو المسيح في البريَّة، يدفع الإنسان إليها، ليُعلِّمه ويُشكِّله ويُدرِّبه ويمسحه بالدُّهن المقدَّس ...

✣ ✣ ✣

لقد صام الربُّ أربعين يومًا ... وبهذا الرقم السرِّي يفتح لنا الرب طريق الدخول إلى الإنجيل. فإن كان أحدٌ يريد أن يقتني مجد الإنجيل والقيامة، فعليه ألَّا يستعفي من هذا الصوم السرِّي.

ولكن لماذا ذَكَرَ الإنجيلي أنَّ المسيح جاع، الأمر الذي لا نجد أيَّة إشارة إليه في صوم موسى وإيليا؟ فهل احتمال الناس أكثر من الله؟ إنَّ الذي استطاع أن يبقى أربعين يومًا بدون أن يجوع، قد دلَّ بذلك على أنه جائعٌ، ليس إلى خبز الجسد، بل إلى خلاص (الناس)، وبنفس هذا الجوع كان يستثير الشيطان الذي كان قد تلقَّى ضربةً أولى بصوم الربِّ أربعين يومًا.

وهكذا كان جوع الرب حِيلةً فاضلة. فقد كان إبليس يهاب عظمته مُتحذِّرًا منه، ولكن لمَّا رآه قد جاع، انخدع لذلك وتقدَّم ليُجرِّبه كإنسانٍ ظانًّا أنه لن يمنعه شيء من الظفر به. فاعلموا، إذن، هذا السر: إنه من عمل الروح القدس ومن تدبير الله أن يتواجه المسيح مع الشيطان ليُجرَّب.

---

(١) مُترجم باختصار عن: Sources Chrétiennes, 45, p. 152-168.

ونحن نعلم أنَّ إبليس يستعمل ثلاثة سهام يُصوِّبها نحو النَّفْس البشرية، تلك هي: الشراهة، والمجد الباطل، والطموح. إنه يبدأ (في تجربة المسيح) بما سبق أن غَلَبَ به (آدم)؛ وهكذا أنا أيضًا أبدأ أن أغلب، في المسيح، بما سبق أن غُلِبتُ به في آدم. إنني أغلب، في المسيح، بقدر ما يكون المسيح – وهو صورة الآب – مثالًا لي في الفضيلة.

شهوة الجسد (الشراهة):

فلنحذر، إذن، من الشراهة والشهوات الحسيَّة، فهي سهام العدو ... كان إبليس يعلم أنَّ ابن الله سيأتي، ولكنه لم يكن يظنُّ أنه سيأتي في مثل هذا الجسد الضعيف، فقال له: "إن كنتَ أنت ابن الله"... إنه يشهد بأنه يؤمن بالله، ولكنه يجتهد أيضًا أن يخدع (المسيح) كإنسان. ولكن انظروا أسلحة المسيح التي ظفر بها لأجلنا وليس من أجله هو.

إنه لا يستعمل قوَّته كإله – لأني ماذا كنتُ أستفيد من ذلك؟ – ولكنه كإنسان يلجأ إلى الوسيلة العادية، وهي أن ينشغل الإنسان بأن يغتذي بالمُطالعة في الكُتُب الإلهيَّة بالدرجة التي يهمل معها جوع الجسد، ويقتني طعام الكلام السمائي؛ هكذا كان موسى، فلم يشتهِ الخبز، وإيليا فلم يحسَّ بالجوع حتى بعد صومٍ طويل. لأنه من غير الممكن لمَن يتبع كلمة الله أن يشتهي الخبز الأرضي حينما يقبل جوهر خبز السماء؛ وما من شكٍّ أنَّ الإلهي يُفضَّل عن البشري، والروحي عن الجسدي.

وهكذا أيُّ مَن يشتهي الحياة الحقيقية، فليطلب هذا الخبز الذي بجوهره غير المنظور يُثبِّت قلب البشر (مز ١٠٣: ١٥). والرب قد أظهر، في نفس الوقت، بقوله: «لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الإِنْسَانُ»، أنه تجرَّب بالجسد الذي أخذه منَّا، وليس بألوهيَّته.

شهوة العيون (المجد الباطل):

يأتي بعد ذلك سهم المجد الباطل. وما أسهل ما يُصطاد به الناس، لأنهم حينما يتمنون إظهار الفضيلة يتركون عنهم المركز والموضع الجدير بأتعابهم.

لقد قيل: «ثُمَّ جَاءَ بِهِ إِلَى أُورُشَلِيمَ، وَأَقَامَهُ عَلَى جَنَاحِ الْهَيْكَلِ» ... فإنَّ هذا هو المجد الباطل، حينما يظنُّ الإنسان أنه يزداد علوًّا، تأتيه شهوة عمل الأعمال الخارقة لتُحدره إلى الهاوية. فتعلَّموا، إذن، أنتم أيضًا كيف تغلبون إبليس! إنَّ الروح القدس يقودكم، فاتبعوا الروح القدس. لا تنقادوا بشهوة الجسد. تعلَّموا احتقار الملذَّات. صوموا إن كنتم تريدون أن تغلبوا...

إنَّ إبليس لا يستطيع أن يؤذي إلَّا ذاك الذي يُلقي بذاته إلى أسفل. فمَن يترك عنه السماء ليختار الأرض، يَدَع حياته تسقط بإرادته في مثل تلك الهوَّة.

فإبليس حينما يرى إنسانًا متديِّنًا، مشهورًا بالفضيلة، مقتدرًا في الأعمال والمعجزات؛ فإنه ينصب له شبكة المجد الباطل لكي ما ينتفخ بالكبرياء، فلا يعتمد على التقوى، بل على برِّه الباطل، ولا ينسب الخير لله بل يُمجِّد به نفسه.

ولذلك كان الرُّسُل يأمرون الشياطين باسم المسيح، ليس بأسمائهم الخاصة، كيلا يُظهِروا أنَّ في أنفسهم شيئًا. وهكذا قال بطرس للمُقعد: «بِاسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ النَّاصِرِيِّ قُمْ وَامْشِ!» (أع ٣: ٦)، كما نتعلم من بولس الهرب من المجد الباطل، إذ قال: «أَعْرِفُ هذَا الإِنْسَانَ: أَفِي الْجَسَدِ أَمْ خَارِجَ الْجَسَدِ؟ لَسْتُ أَعْلَمُ. اللهُ يَعْلَمُ ... وَلكِنْ مِنْ جِهَةِ نَفْسِي لَا أَفْتَخِرُ إِلَّا بِضَعَفَاتِي» (٢كو ١٢: ٣-٥). وهنا أيضًا لم يفعل الرب ما يُرضي إبليس، بل أجابه: «لَا تُجَرِّبِ الرَّبَّ إِلهَكَ».

تَعظُّم المعيشة (الطموح):

+ «ثُمَّ أَصْعَدَهُ إِبْلِيسُ إِلَى جَبَلٍ عَالٍ وَأَرَاهُ جَمِيعَ مَمَالِكِ الْمَسْكُونَةِ فِي لَحْظَةٍ مِنَ الزَّمَانِ» (لو ٤: ٥).

حقًّا تُرَى أمور الدهر الحاضر والأرضي في لحظةٍ من الزمان، وهذا لا يعني سرعة الرؤية بقدر ما يعني هزالة قوَّتها البالية.

في لحظةٍ من الزمان يزول هذا كله، وكثيرًا ما يمضي نعيم الدُّنيا قبل أن يأتي (ف «الْعَالَمُ يَمْضِي وَشَهْوَتُهُ» – ١يو ٢: ٧)... هذا يدعونا لازدراء الطموح الباطل.

فلنعبد، إذن، إلهنا الواحد. ولا نخدمنَّ سواه حتى ما يُجازينا بثمار الحياة الأبدية الأفضل، ولنهرب من كلِّ ما هو تحت سيادة إبليس لئلا نقع تحت عبوديته المُرَّة.

وغير خافٍ أنَّ من أكبر مساوئ الطموح، هو أنه يجعل الإنسان يتمسَّح من أجل استجداء الكرامة، الأمر الذي قد يؤدِّي به إلى الإجرام. إنه يستجلب الاحترام من خارج ويجرُّ الهلاك على الداخل، ومن أجل أن يسود على الآخرين، يبدأ بأن يكون عبدًا لهم. إنه يتزلَّف من أجل أن يقبل الكرامات، ويُمتهَن من أجل أن يرتفع... «وَلَمَّا أَكْمَلَ إِبْلِيسُ كُلَّ تَجْرِبَةٍ فَارَقَهُ إِلَى حِينٍ».

صلاة "أبانا"

نافذة نحو السماء

❖✠❖

صلاة "أبانا" قاعدة صلوات الكنيسة:

اعتَبَر آباء الكنيسة الأوائل أنَّ صلاة "أبانا" هي – بحقٍّ – نافذة نحو السماء، وفيها ترتفع قلوبنا قبل أيدينا، وتنطلق لتستجلب النعمة والرحمة من الآب السماوي بالروح القدس، ومن خلال بنوَّة الابن الكلمة التي منحنا بها التبنِّي بالنعمة.

ولهذا فقد ارتأت الكنيسة أن تُدرِج هذه الصلاة في كافة صلواتها وخدماتها الليتورجيَّة[١] والفردية، كمفتاح تفتح به نافذة السموات، فتستمطر زَخَم وغِنَى الشركة في الثالوث القدوس، التي بدونها لا سبيل لنَيْل الخلاص، أو النمو اليومي في معرفة سرِّ الآب، ونِعَم ابنه الوحيد، وشركة الروح القدس. فيكفي أن يبدأ الإنسان برَفْع يديه للصلاة مع قلبه وشفتيه بـ"أبانا"، حتى يصيخ الآب سمعه ويردَّ بصوت الروح القدس في قلب الإنسان: "نعم يا ابني". لذلك فسوف يصطحبنا الآباء في رحلةٍ سريعة نتعرَّف فيها على فكر الكنيسة الأصيل في فهم معاني الكلمات وما تحويها من مفاهيم خفيَّة[٢].

الله الآب كأبٍ لنا:

يقول **العلَّامة ترتليان:**

[إنَّ ربَّنا كثيرًا ما أخبرنا أنَّ الله أبونا. وبالأكثر أخبرنا ألَّا ندعو لنا أحدًا على الأرض كأبٍ لنا، حتى أننا نُخاطبه "أبًا" كبنين، لكن فقط الآب السماوي. لذا فإننا عندما نُخاطبه "أبانا"، فنحن نُطيع وصيته: «وَلَا تَدْعُوا لَكُمْ أَبًا عَلَى الأَرْضِ، لأَنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ» (مت ٩: ٢٣). فطوبى لِمَن يعرفون أباهم! ولنذكُر لوم إسرائيل عندما أشهد عليهم الروح السماء والأرض بقوله: «اسْمَعِي أَيَّتُهَا السَّمَاوَاتُ وَأَصْغِي أَيَّتُهَا الأَرْضُ لأَنَّ الرَّبَّ يَتَكَلَّمُ: "رَبَّيْتُ بَنِينَ وَنَشَّأْتُهُمْ أَمَّا هُمْ فَعَصُوا عَلَيَّ"» (إش ٢: ٢١).

---

(١) انظر انجيل قدَّاس أحد رفاع الصوم المقدَّس (مت ٦: ١ – ١٨).

(٢) تمَّ الاستعانة في إعداد هذا المقال بكتاب:

Ancient Christian Commentary on Scripture 1a on Matthew.

وعندما نُخاطبه كأبٍ ندعوه أيضًا ربًّا، وبهذا فنحن في لفظةٍ واحدة نعترف به كبنين وأنه هو الخالق. وعندما نُخاطبه كآب، فالابن الكلمة مُتَضَمَّن في ذات النداء: «أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ»(يو ١٠: ٣٠). ولا نغفل الكنيسة أُمَّنا، فما دام لنا أبٌ، فلا بد من أُمٍّ وهي الكنيسة التي ولدتنا][٣].

ويقول الأب **متى المسكين**:

[صلاة "أبانا الذي" تُقال في حضرة الله، بل هي بحدِّ ذاتها دخول إلى حضرة الله. وهذا الدخول يحتاج إلى إعدادٍ قلبي ومظهري قبلها: «فَقَالَ لَهُ (لموسى) الرَّبُّ: "اخْلَعْ نَعْلَ رِجْلَيْكَ لأَنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي أَنْتَ وَاقِفٌ عَلَيْهِ أَرْضٌ مُقَدَّسَةٌ"» (أع ٧: ٣٣). ونحن قادمون على مقابلة سريعة لله وجهًا لوجه، سنُخاطبه كما يُخاطب الإنسان صاحبه. وقد أعطانا المسيح بهذه الصلاة إذنًا بالدخول إلى حضرة الله، كلما كانت لنا إرادة حقيقيَّة للصلاة، أو كلما دعانا الروح. فالروح يحبُّ الصلاة ويقود إليها ... إذًا وقبل أن نُصلِّي، نقف هادئين نستحضر الإرادة أولًا، لكي تكون الصلاة خارجة من قلبٍ يُريد التكلُّم مع الله، وهو يُدرك أنَّ الله في السماء يتسَمَّع لنبضات قلبنا قبل كلمات فمنا][٤].

بنوَّتنا لله بالنعمة استُعلِنَت بالتَّجسُّد:

وعن بنوَّتنا لله وكيف استُعلِنَت بالتجسُّد، يقول **العلَّامة أوريجانوس**:

[«وَلَكِنْ لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ» (غل ٤: ٤). ملء الزمان هذا قد تحقَّق في مجيء ربنا يسوع المسيح بيننا. فعندئذٍ ينال التبنِّي أولئك المؤمنون به كأبناء خاصِّين له، وذلك أيضًا كقول الرسول: «إِذْ لَمْ تَأْخُذُوا رُوحَ الْعُبُودِيَّةِ أَيْضًا لِلْخَوْفِ بَلْ أَخَذْتُمْ رُوحَ التَّبَنِّي الَّذِي بِهِ نَصْرُخُ: "يَا أَبَا الآبُ"». (رو ٨: ١٥)][٥].

أمَّا القدِّيس **أوغسطين** فيرى أنَّ القُرب لله كأبناء، لا يُقارَن بالقُرب المكاني أو المادي، فيقول:

[ليت شعبَ الله الجديد المدعوِّين للميراث الأبدي مجانًا يدعون الله "أبانا الذي في السموات"، حيث يملك الحق والقداسة الكاملة. لأن الله لا يَسَعَه مكان مادي. فالسموات هي أسمى جدًّا من العالم المادي، رغم أنها هي الأخرى خليقة الله، وإن

(3) Tertullian, *On Prayer* 2.2-6, CCL 1:258; FC 40:159-60; ANF 3:682.

(٤) الأب متى المسكين، "الإنجيل بحسب القديس متى – دراسة وتفسير وشرح"، الطبعة الأولى: ١٩٩٩، ص ٢٦٥.

(5) Origen, *On Prayer* 22. 2 GCS 3:347; ACW 19:73-74.

كانت غير محدودة السِّعَة مثل العالم المادي. واحذر أن تعتقد بسذاجةٍ أنَّ الطيور أو السحاب هي أقرب لله منَّا! أو أنَّ الله أكثر قُربًا من طوال القامة أو ساكني الجبال، لأنه مكتوبٌ: «هُوَذَا عَيْنُ الرَّبِّ عَلَى خَائِفِيهِ الرَّاجِينَ رَحْمَتَهُ» (مز ٣٤: ١٨)[٦].

علاقة الإنسان بالله:

ويقول **الأب متى المسكين** :

[من مطلع الصلاة تنكشف العلاقة الحميمة والخاصة جدًّا التي تربط الإنسان المسيحي بالله، فنداء "أبَّا" هو بالآرامية، لغة المسيح، ينحصر في نداء الطفل – أول ما يتعلَّم الكلام – مُناديًا أباه "أبَّا". وهي تأتي مُعبِّرة عن عمق ثقة المسيح في الله (الآب) ومدى سلطانه. وبهذا النداء عينه، نُنادي نحن الله الآب كأحد صغار المؤمنين: «وَمَنْ أَعْثَرَ أَحَدَ الصِّغَارِ الْمُؤْمِنِينَ بِي» (مر ٩: ٤٣)][٧].

الأصول الآرامية للصلاة الربَّانية:

وقد وصلت إلينا ملامح هذه الصلاة عَبْر القرون، ونجد آثارها في الصلوات اليومية الحاليَّة في المجمع اليهودي: "أبانا الذي في السموات الحي، اصنع معنا إحسانًا وفضلًا من أجل اسمك العظيم القوي ... ولتكن إرادتك من لَدُنك يا رب إلهنا وإله آبائنا؛ أن ترحمنا، وتعفو عن كلِّ خطايانا، وتغفر لنا ذنوبنا، وتصفح عن كلِّ معاصينا"[٨]. وأيضًا: "ليتعظَّم وليتقدَّس اسمه العظيم في العالم الذي خلق حسب إرادته، ليثبت ملكوته ... وليكن اسمه العظيم مُباركًا إلى الأبد وإلى أبد الآبدين ... ليكن سلامٌ جزيل من السماء، وحياة وشِبَع وفرح وتعزية، ونجاة وصحة، وعفو وغفران، وسِعَة وخلاص لنا ولكلِّ شعبه"[٩].

صلاة "أبانا" تجمع وتوحِّد المؤمنين:

ويُشير **القدِّيس يوحنا ذهبي الفم** لقيمة نداء: "أبانا" على نفوس المُصلِّين بها كجماعةٍ واحدة تُمَثِّل الكنيسة جسد المسيح له المجد، في أنها توَحِّدهم وتغرس المحبة الأخويَّة بينهم، فيقول:

---

(6) Augustin, *Sermon on the Mount 2*. 5, 17, PL 34: 1276; NPNF 1 6: 39; ACW 5: 106.

(٧) الأب متى المسكين، "الإنجيل بحسب القديس لوقا – دراسة وتفسير وشرح"، ١٩٩٨، ص٤٧١.

(٨) محزور فارحي، كتاب: "الصلوات لأجل عيد رأس السنة". تعريب د. هلال فارحي، ١٩٢٤، ص ١٣٤.

(٩) المرجع السابق، ص ١٤٣.

[هذا النداء، يُزيل الكراهية، يُقمع الكبرياء، يطرد الحسد، ويستجلب أُمَّ جميع الصالحات، أعني المحبة. فعندما نرفع صلاتنا تضمحل عدم المساواة بين البشر وطبقيتهم الكريهة، وتُظهِر كم أنَّ الملك والفقير هما سواسية أمام كلِّ الأمور الغالية والثمينة اللازمة لنا. فخلف المخدع المُغلق كلُّنا سواء][١٠].

وعن قيمة هذا النداء نحو الله الآب في تأثيره على موقفنا كعبيد بطَّالين نحو السيِّد المُنزَّه عن أيِّ صفاتٍ ماديَّة ترابية، يقول قدس **الأب متى المسكين**:

[حينما نقول لله "أبانا"، فهذا النُّطق يحمل شخص يسوع المسيح ابن الله الذي به وفيه نُكلِّم الله، وبغيره ليس لنا كلام مع الله. فهنا المُبادأة في مُخاطبة الله "أبانا"، هي كنز العهد الجديد][١١].

اسم الله يتقدَّس بنا وفينا:

ويستكمل **القدِّيس كبريانوس** نفس السياق في موقفنا نحو الآب في النداء بتقديس الاسم المستوجب كل إكرام وتمجيد بقوله:

[عندما نُصلِّي "يتقدَّس اسمك"، لا يعني أننا نتمنَّى أن يصبح الله مقدَّسًا بواسطة صلاتنا؛ لكن لكي يصير اسمه مقدَّسًا فينا، بواسطة مَنْ قدَّسه الآب "الابن الكلمة"، لأنه وحده قدوسٌ بما لا يُقاس. لقد أمَرَنا قائلًا: «لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: "كونوا قِدِّيسِينَ لأَنِّي أَنَا قُدُّوسٌ"» (١بط ١: ١٦). فنحن الذين تقدَّسنا بالمعمودية، نمتدُّ في ذلك وننمو ونستمر. وهو ما نُصلِّي لأجله كل يوم. فنحن في حاجةٍ ماسَّة للتقديس اليومي ما دمنا نسقط كلَّ يومٍ، فنغتسل من خطايانا بطلب هذا التقديس][١٢].

استجابة الصلاة مضمونة بدالة بنوَّة الابن الوحيد:

وفي قولٍ آبائي، يعرض لنا الكاتب في تأمُّلٍ رائع موقفنا من الصلاة كبنين وليس كعبيد أو نغول، فيؤكِّد لنا أنَّ الصلاة مضمونة الاستجابة بدالة البنين، وباستحقاق الشركة في بنوَّة الابن الكلمة، وذلك بالنعمة والإيمان، لا بتذلُّل العبيد المُنفصلين عن إرادة سيِّدهم والجاهلين بمشيئته، فيقول:

---

(10) Chrysostom, *The Gospel of Matthew, Homily* 190. 4, PG 57: 278; NPNF, 1 10: 134.

(١١) الأب متى المسكين، "الإنجيل بحسب القديس متى – دراسة وتفسير وشرح"، الطبعة الأولى: ١٩٩٩، ص ٢٦٦.

(12) Cyprian, *Treaties, On The Lord's Prayer* 12, CCL 3a: 96, 5: 450.

[إنه يُفضِّل أن ندعوه أبًا عن ندائه كسيِّد، حيث إنَّ هذا يُعطينا ثقة أن نلتمس منه برجاءٍ عظيم وإيمانٍ ثابت. فالعبيد لا يطلبون دائمًا ما ينفعهم حقًّا، ولا يسألون بثقةٍ ما هو جيِّد لهم بالفعل. وهم أيضًا لا يُفكِّرون فيما يهم أو يفيد سيِّدهم، لكن اهتمامهم هو في ذواتهم فقط. ولذا فغالبًا لا يستجيب لهم السيِّد.

أمَّا البنون فهم دائمًا يسألون بضميرٍ صالح كل ما هو للصلاح. ويسألون ما هو لأبيهم أولى مِمَّا لهم. ولذا فدائمًا يستجيب لهم الآب. فإن كنتَ حقًّا ابنًا لله، فإنه نافعٌ لك أن تسأل ما هو لمجد الله، فيُعطَى لك كل شيء. أمَّا إن طلبتَ الماديات والأرضيات، فقد صعَّبتَ الأمور على نفسك لدرجة تقترب من الاستحالة. فكيف تفيدك هذه الأمور "المادية" يا مَنْ تلتمسها من الآب، وهو كثيرًا ما حذَّرك أنك تكون محل اللوم والازدراء إذا ما حظيتَ بها (انظر: مت ٦: ٢٥ – ٣٤)![(١٣)].

(13) Anonymous, *On Matthew, Homily* 14. PG 56: 711.

****

دير القديس أنبا مقار

صَدَرَ حديثًا **من إعداد: أبناء المُتنيِّح أنبا إبيفانيوس**

الترجمة السبعينيَّة للكتاب المقدَّس

بالمقارنة مع النصِّ العبري والترجمة القبطيَّة

سِفْر نشيد الأنشاد

(يوناني – عربي)

١٢٨ صفحة (من القَطْع الكبير)

❖❖❖

وأيضًا: طبعة عربي

١٥٦ صفحة (من القَطْع المتوسط)

****

قدِّموا ذواتكم ذبيحةً للربِّ[1]

(رو ٦: ١٣)

أولًا: مفهوم الذبيحة:

الذبيحة في جوهرها الروحي هي الحب، الحب الذي ينبثق مباشرةً من الله. الحب الذي يُمثِّل الميل الداخلي إلى أن نُقدِّم لله طاقاتنا ومُمتلكاتنا، بل وحياتنا ذاتها كأدلَّة متواضعة للاعتراف بفضله لأجل حبِّه، الحب الذي يُشكِّل وسيلتنا الوحيدة لنَيْل الفداء. ونحن لا نُعطي تضحياتنا لله مباشرةً فحسب، بل أيضًا للبشر رفقائنا، الذين يمكننا أن نعضدهم أو حتى ننقذهم روحيًّا. ألم يُعلِّمنا الرب أنَّ المحبة الكاملة تستلزم أن نضع أنفسنا وكياننا وحياتنا لأجل الآخرين: «لَيْسَ لأَحَدٍ حُبٌّ أَعْظَمُ مِنْ هذَا أَنْ يَضَعَ أَحَدٌ نَفْسَهُ لأَجْلِ أَحِبَّائِهِ» (يو ١٥: ١٣)؟

والذبيحة، في نفس الوقت، إنما هي رؤية للحقِّ الساكن في أعماق كياننا: قوَّة العطاء المُلِحَّة. فنحن نُقدِّم عطية المحبة والحق لرفقائنا من البشر؛ بينما نأخذ منهم بدورنا بالحب، عطية المحبة والحق. بل إنَّ الذبيحة هي معرفة واعية للهدف الأسمى الذي نُكرِّس أنفسنا له. وهي دائمًا مُستنيرة بالحقِّ، وموجَّهة دائمًا لشخصٍ أو جماعةٍ تُساعدنا على تحقيق دعوتنا التي هي أن نعيش في الخدمة. وإعطاء الإنسان ذاته خارج الإطار المقدَّس – مهما بدا أنه مُثيرٌ للعجب – لا يمكن أن يُكوِّن ذبيحة، فهو يمكن فقط أن يكون فعل إماتة للذات بلا منفعة.

والذبيحة أيضًا تدلُّ على الحرية، كما تُعبِّر عن قدرات الفرد الروحيَّة على التمييز بين حالته الآن وما يُريد أن تكون عليه حالته. فهي، إذن، حريَّة خلَّاقة ينبغي أن تُفهَم على أنها قرارٌ طوعي للوصول إلى هدف، واختيارٌ يوضِّح جوهر الذبيحة المُقدَّمة بحرية الإرادة. كما إنَّ الذبيحة تجلب المسرَّة، ومع ذلك فإنَّ تلك المسرَّة تتعدَّى حالة مجرد الرِّضا أو الاطمئنان، فهي تتضمَّن قِيَمًا روحيَّة مثل: الإيمان والرجاء والشجاعة وقوَّة الإرادة ... إلخ. وهي عملٌ سامٍ يمنح فرحًا لمَنْ يُقدِّمها مثلما يُفرِّح الله. بل ويمكننا أن نقول إنها عملٌ

---

(١) أعددنا هذا البحث بالاستعانة بمقال:
The Structure of Sacrifice, St. Vladimir,s Theological Quarterly, Vol. 30, nº.1, p. 43.

فريد فيه تضحية خلَّاقة، ويُجسِّد كلَّ القِيَم الروحيَّة!

وأعظم ذبيحة – التي هي ذبيحة ابن الله المُتجسِّد على الصليب، التي توحِّد في ذاتها جميع الذبائح المُقدَّمة على المذبح في الماضي، وتُعطي معنى لجميع الذبائح التي تُرفَع على المذبح في المستقبل – تُعتبَر تكفيرًا مُقدَّمًا لله غير المحدود. إذًا، هل نغمض عيوننا عن الكرازة بالصليب، وعن «قُوَّةِ اللهِ» الفادية المُقدَّمة لنا «نَحْنُ الْمُخَلَّصِينَ» (١كو١: ١٨)؟

والذبيحة، بطبيعتها، إنما هي ترياقٌ ضد الخطيَّة. إنها فعلٌ نموذجي أصلي لها رباط سرمدي غير قابل للانحلال بأصل العالم، فهي سابقة على الخطية. دعنا نُلقي نظرةً على بعض البراهين المُحقَّقة الشاهدة لذلك المفهوم:

أولًا: معروفٌ منذ خلقة العالم أنَّ الله يقبل الذبائح عندما تكون فقط طاهرة وبلا عيب ومرضيةً تمامًا له. فالبريء هو فقط الذي يمكنه أن يُكفِّر عن الخاطئ، والذبيحة المُقدَّمة للكُلِّي القداسة ينبغي أن تكون مُقدَّسة. وهل يمكن لأحدٍ غير الرب يسوع، الذي يملك حريَّة مُطلَقة من الخطية، أن يُقدِّم الذبيحة الذاتية الكاملة عن الخطاة؟ هذا يكشف لنا عن التطابُق بين الذبيحة والقداسة.

ثانيًا: في الديانة اليهودية لم يكن مسموحًا لمُقدِّم الذبيحة أن يُقدِّم ذبيحةً بها عيب، أي إنها ينبغي أن تكون بلا لوم. وهذا يُظهِر أنَّ الذبيحة تتجاوز الخطية وتسمو فوقها وتُبيِّن أصلها السابق للسقوط. إنَّ التقدمات الذبائحية تضع الإنسان في لُبِّ طبيعته الروحيَّة. والتقليد اليهودي الخاص بتقديم البكور لله، ينبع من فكرة أنَّ التقدمات التي بلا عيب وبلا فساد، هي وحدها التي يمكن تخصيصها للقدير. وكلُّ ذلك يكشف عن أنَّ الذبيحة قد سبقت الخطية. وكلُّ شيء يُخبرنا أنَّ حُب الله للبشرية، جعل الذبيحة هي الوسيلة التي بها يُمكننا أن نستعيد فردوسنا المفقود!

ثالثًا: **جوهر الذبيحة:** حيث إنَّ أيَّ ذبيحةٍ مُقدَّمة تصير واحدًا مع مَنْ يُقدِّمها، أي مع الكاهن، وحيث إنَّ المسيح هو أول رئيس كهنة لذبيحةٍ مُطهِّرةٍ مُحيطةٍ بالكل؛ فإنَّ ذبيحة ذاته المبذولة، توحِّد بنية كل تقدمة ذبائحيَّة، وتكشف عن جوهرها الفريد، أي المحبة. فكلُّ الذبائح التي قُدِّمت قبل ذبيحة المسيح، كانت مجرد رموز وظلال لذبيحة نفسه التي هي أعظم عطايا الله للبشرية.

والذبيحة، إذ هي فعل إنكار ذات، فهي بالتأكيد عطيَّة أصيلة. وفي حين أنَّ الربَّ يسوع هو عطيَّة الآب لنا، فهو أيضًا جوهر جميع العطايا والثمرة البِكْر والمولود البِكْر أي «بِكْرُ كُلِّ خَلِيقَةٍ» (كو ١: ١٥). إنَّ «فِصْحَنَا أَيْضًا الْمَسِيحَ قَدْ ذُبِحَ لأَجْلِنَا» (١كو ٥: ٧)، لذلك فهو العطيَّة الذبائحيَّة المُقدَّمة للآب على الصليب من أجل البشرية، وعطية الفداء المُقدَّمة من الآب إلى العالم: «لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ» (يو ٣: ١٦). لنا في المسيح جوهر الذبيحة واستعلانها، لأنه هو العطيَّة والذبيحة والكاهن الأعظم في نفس الوقت. فهو، إذًا، نموذجٌ أصليٌّ كاملٌ للكهنوت والتَّقدمة الذبائحيَّة. هذا الالتحام يكشف عن أمرين:

الأول: إنَّ الخليقة ذاتها إنما هي عطية جنبًا إلى جنب مع المسيح. كل الأشياء صنعها الرب بالروح القدس. ونتيجةً لذلك، فإنَّ التَّقدمة تُبرز جوهر الخليقة. إننا نفهم جوهر العالم فقط عندما نتأمَّله كعطيَّة من الله. نحن نُدرك نفوسنا كعطيَّة من أبينا السماوي الذي هو ينبوع الأُبوَّة في السماء وعلى الأرض. في كلِّ الأشياء – التي هي مُقدَّمة لنا كعطية من الله – نشعر بحضرة المُعطي السماوي بواسطة ذلك الجمال الذي لا يمكن تفسيره. تلك النَّسَمة السماوية الخاصة بكلِّ واحدٍ منَّا، والتي ترفعنا فوق ذواتنا؛ تكشف أصلنا المُقدَّس وغاية حياتنا. هذا الجمال الفائق يجعلنا نرى في أنفسنا وفي بعضنا البعض صورة الله، ويُساعدنا على عبادة خالقنا وأن نعرف قوَّة سرِّ الخليقة، وأن نتعلَّق بمعنى موت المسيح الفدائي على الصليب، ونُقدِّم أنفسنا للرب.

قال **القديس غريغوريوس النزينزي**: [فلنُقدِّم نفوسنا، التي هي أثمن وأنسب ما نملكه، لله. ليتنا نُعيد إلى الصورة ما هو مخلوقٌ على تلك الصورة. ليتنا نتعرَّف على كرامتنا. ليتنا نُكرِّم نموذجنا الأصلي. ليتنا نعرف قوَّة السرِّ ولماذا مات المسيح][٢]!

في هذا العالم، الذي هو عطيَّة الله لنا، كلُّ الأشياء تصعد إلى العطية الأصلية: النموذج الأصلي، المُعطِي الأعظم، في جوٍّ من الحب! وطالما أنَّ العطيَّة الذبائحيَّة تدلُّ على الحبِّ، فالحبُّ يصير له وجود فقط بواسطة إنكار الذات وتقديمها قربانًا.

الثاني: الحقيقة الأساسية الثانية، يمكننا أن نمسك بها بخصوص الذبيحة من تأملنا

(2) Oration 1, On Easter.

في المسيح ككاهنٍ وذبيحة. فحيث إنَّ وجودنا هو عطية من الله، فينبغي تكريسها له. ومثل تلك التَّقدمة التي تمزج معًا أصلنا الإلهي ودعوتنا، تجعلنا مُستحقِّين لمُقدِّم الذبيحة الإلهي، أي المسيح. وبَذْل أنفسنا لأجل الآخرين، يجعلنا نعيش حياةً سماويَّة، وذلك بالإضافة إلى محاولة أن نعيش على مستوى عطيَّة المحبة الممنوحة لنا من الله. لذلك يقول الرب: «مَجَّانًا أَخَذْتُمْ مَجَّانًا أَعْطُوا» (مت ١٠: ٨).

وكما إننا نُدرك أنفسنا باعتبارنا عطايا وذبائح، نشعر أيضًا بحدودنا. نعم، نحن نرحل من بدايةٍ إلى نهاية، ولكن هل يمكننا أن نضبط أيًّا منهما (أي نتحكَّم في ولادتنا وموتنا)؟ تلك الحدود تجعلنا نأخذ بجدِّيَّة كلًّا من حالتنا البشرية المحدودة وقوَّتنا غير المحدودة الممنوحة لنا كشرارات وجودٍ إلهيَّة. نحن نُدرك أنفسنا كشخصيات لها كيانها، كوحدات مُميَّزة ووجوديَّة مُستقلَّة، وليس مجرد أجزاء من الكل، لأننا نحمل في ذواتنا عطيَّة فريدة، صورة فريدة، نصيبًا فريدًا يمنحنا وضعًا فريدًا في هذا العالم. ولماذا نُدرك أنفسنا أننا محدودين رغم أننا مخلوقون على صورة الله ومثاله؟ لأننا على الدوام نطمح للوصول إلى غير المحدود الذي هو بعيدٌ عنَّا. كلٌّ منَّا كيان لعالمٍ مُصغَّر microcosm، لأننا نُلخِّص في أنفسنا الإمكانيات الكامنة في الخليقة، وإن كُنَّا لا نستوعبها كلها بالكامل.

يوجد فرقٌ قاطع بين ذبيحة المسيح وذبيحتنا. فبينما تنبثق تقدمة إلهنا (أو بَذْله لذاته) من ينبوع محبته غير المحدودة؛ فإنَّ بَذْل ذواتنا له وجهتان: عطاء وأَخْذ. في بَذْل ذواتنا لأجل آخرين، نشعر أننا قد تجرَّدنا بعض الشيء، إذ يلزمني أن أتجرَّد من ذاتي لكي أكمُل في تقديم ذاتي للآخر.

وبالإضافة إلى إشباع الحاجة إلى العطاء، هناك حاجة راسخة بعمقٍ في طبيعتنا، فإنَّ التضحية بالذات تكشف الحاجة إلى تخطِّي حيِّز الذات أو السمو عليها والتحقُّق من إمكانياتنا البشرية والإلهيَّة؛ وفي نفس الوقت، تُمثِّل طريقًا إلى الكمال وجسرًا بين المحدود وغير المحدود. الذبيحة تُقدِّم لنا – كجزء من علاقتنا بالله الذي يُقدِّس تقدماتنا – الفرصة الفريدة للمُشاركة في غناه غير المحدود، وبذلك تتخطَّى حدودنا! فضلًا عن ذلك، فهي تُمثِّل تحوُّلًا نُميِّز فيه الاستنارة الواضحة لكلِّ المعاني الوجودية، والصعود الدائم إلى حيِّز الحقيقة الإلهيَّة.

أصدقاء الملكوت

● «اصْنَعُوا لَكُمْ أَصْدِقَاءَ بِمَالِ الظُّلْمِ» (لو ١٦: ٩).

تمهيد:

اعتاد الربُّ يسوع أن يُعطي تعاليمه ووصاياه، سواء كانت لتلاميذه أم للجموع التي تتبعه، مُعَضَّدة بأمثالٍ وأحداثٍ ومظاهر حياتيَّة بسيطة، مَرئيَّة ومفهومة لسامعيه، حيث يُسجِّل لنا القدِّيس متى الرسول في إنجيله: «هذَا كُلُّهُ كَلَّمَ بِهِ يَسُوعُ الْجُمُوعَ بِأَمْثَالٍ، وَبِدُونِ مَثَلٍ لَمْ يَكُنْ يُكَلِّمُهُمْ» (مت ١٣: ٣٤)، ويقول البشير أيضًا: «لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ بِالنَّبِيِّ الْقَائِلِ: "سَأَفْتَحُ بِأَمْثَالٍ فَمِي، وَأَنْطِقُ بِمَكْتُومَاتٍ مُنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ"» (مت ١٣: ٣٥)، كما يكتب القدِّيس مرقس البشير بالروح، عن هذا الأمر في إنجيله: «وَابْتَدَأَ يَقُولُ لَهُمْ بِأَمْثَالٍ ...» (مر ١٢: ١). كلُّ ذلك حتى يُسهِّل على السامعين إدراك قَصد ومَغْزَى تعليمه. فكان السيِّد يَطرح عليهم مَثلًا، أو قصة بسيطة، ثُمَّ يستخلص منها – بناءً على إدراكهم لقصد المَثَل – التعليم الروحي الحي الواجب استخلاصه وإدراكه، ومِن ثمَّ تطبيقه في حياتهم.

ولعَلَّ من أشهر الأمثلة على ذلك، ما يُعرَف بمَثل "**وكيل الظُّلم**". أمَّا عن تسمية الظُّلم هنا، فهي تعود على المال الذي كان تحت إمرة هذا الوكيل، وهو لا يملكه، لأنَّ كلَّ ما في حَوزة الإنسان وهو لا يَملكه، بل يَتعامل معه بصفة الوكالة أو الأمانة؛ فهذا ما يُطلَق عليه "مال الظُّلم". وهذا يسري أيضًا على كلِّ ما عندنا مِن مقتنيات أو أشياء، أو أمور قابلة للزوال والفناء وغير يَقينيَّة، فهي مال ظُلمٍ. كذلك كلُّ ما هو بين أيدينا محدود أو مؤقَّت أو يَخصُّ آخرين، ونحن أُمناء عليه؛ يُعَدُّ أيضًا مال ظُلم، بل والمواهب والعطايا التي وهبنا الله إيَّاها، هذه كلُّها تقع تحت مُسمَّى مال الظُّلم!

لماذا مَدَحَ السيِّد وكيل الظُّلم؟

قد نستغرب في البداية، كيف امتدح الربُّ وكيل الظُّلم، بالرغم من سلوكه غير المُنضبِط وعدم أمانته؟ ذلك لأنَّه لم يكن أمينًا بالقدر الكافي على أموال سيِّده! ولكن لو

تأمَّلنا قليلًا، فإنَّنا سنرى أنَّ هذا الأمر يَنطبق علينا نحن أيضًا في حياتنا، ولكنَّ الله الرحوم يُفسِح أمامنا المجال والوقت حتى نَرجع إلى أنفسنا، ونعود إلى محبَّتنا الأولى، فنُقدِّم له توبةً صادقة ونُصحِّح مسارنا، فيَعفو عنَّا ويُسامحنا، بل ويُطوِّبنا، لأنَّ نهاية أمرٍ خيرٌ من أوائله. ولنتذكَّر مَثَل الابن الضال، الذي بعد ما سَلَكَ في حياة التَّرف والخطيَّة زمانًا، عاد إلى نفسه، وانسَكَبَ أمام أبيه، فأَعاده أبوه إلى مجده الأوَّل، وردَّه إلى بيته. كذلك نذكر في حياة يعقوب أبي الآباء، أنَّه رغم تحايُله لاختطاف البَرَكة من أخيه، إلَّا أنَّه بسبب تَمسُّكه بالله ونقاوة قلبه، باركه الله، وصَيَّره أبًا لجمهورٍ كثير.

وهنا، نَلمح سرَّ مَدْح الربِّ لهذا الوكيل – رغم سلوكه المُخزي في البداية – فنرى أنَّ هذا المديح الذي قاله السِّيد عنه إنَّما يرجع إلى **أمرين هامَّين**، هما:

١ – حكمة هذا الوكيل، في رؤيته المُستَقبَليَّة، والتي تَجلَّت في اهتمامه بما هو قادمٌ مِن الأيام، ونظرته الثاقبة بروح الإفراز نحو مصير حياته القادمة. فهو **قد صوَّب نظره نحو حياته الآتية**، وكيف يحياها، ليُعطينا درسًا حيًّا وعمليًّا رائعًا، نحن ولكلِّ الناظرين نحو حياتهم الأبديَّة، الذين وَجَّهوا عيون قلوبهم نحو أورشليم السمائيَّة، واهتمُّوا كيف يُعدُّون أنفسهم جيِّدًا لحياتهم الأبديَّة. أولئك الذين امتلكوا **العيون المفتوحة على الأبديَّة**، والذين هم وحدهم القادرون والمُهتمُّون بما هو باقٍ، لكي يُقدِّموه عربونًا لدخول الملكوت؛ بالسلوك الحَسن والتوبة **وعمل الرحمة**، وأن يُعدّوا **كنزًا لأنفسهم لا يَفْنَى** في السموات.

٢ – حكمة هذا الوكيل في حُسْن اختياره **للأصدقاء المُناسبين والنافعين له**، لأنَّهم وحدهم القادرون أنْ يَشفعوا له لكي يُقْبَل، مقابل حُسْن صَنيعه معهم حينما يَفقد عمله؛ وعندها سَيَجد لنفسه مكانًا معهم (كما في المظال الأبديَّة).

الاهتمام بالأبديَّة (الرؤية المستقبليَّة):

بالرغم من أنَّ وكيل الظُّلم – كما ذَكرنا – قد أساء استخدام ما بين يديه من مال الظُّلم، الذي كان مؤتمَنًا عليه، وقد وُشِيَ به إلى سيِّده بأنَّه يُبذِّر أمواله – وهذا أمرٌ يَستوجب العقاب – إلَّا أنَّه بحكمته قد أدرك خطأه بسرعة. لكنَّه لم يُفكِّر في محاولة الدفاع عن نفسه، أو تبرير خطئه وإخفائه عن سيِّده؛ بل بكلِّ حكمة ورزانة وَضَعَ كلَّ اهتمامه على ما هو قادمٌ من الأيام، ونَقَلَ تفكيره لِمَا بعد تَركه العمل مع سيِّده، وتَسليمه مال الظُّلم الذي بين يديه. وهو بذلك يُعطينا مثالًا ودرسًا عظيمين عن العَيْن المفتوحة على الأبديَّة، وما يلزم علينا أنْ نَعمَله

لإعداد أنفسنا للوطن الآتي الذي ننتظره؛ فنستعدُّ – من الآن – للتأهُّل للعيش فيه، وكيف نَهتَمُّ باقتناء شُفعاء لنا أمام الله، لاستحقاق دخول هذا الوطن السمائي!

لقد أدرك هذا الوكيل الحكيم أنَّه من الضروري لنجاته، أنْ يَعمل أمرًا ذا ثَمرةٍ باقية؛ وهذا الأمر يَتمثَّل في **عمل رحمة** أو خير أو معونة لأيِّ إنسان، ومن المنتظر أن يكون لعمله هذا نتيجته وتذكاره، وأنَّه سوف يَؤول لخَيرِه لِمَا قدَّمه من معروف لِمَنْ هم في ضيقةٍ واحتياج؛ وذلك كما يقول الحكيم: «اِرْمِ خُبْزَكَ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ فَإِنَّكَ تَجِدُهُ بَعْدَ أَيَّامٍ كَثِيرَةٍ» (جا ١١: ١). فيكون **عمل الرحمة** الذي سيُقدِّمه شفيعًا له، وسببًا لنجاته مِن الجوع والهلاك.

وما أحوَجنا اليوم، أنْ نَتعلَّم كيف نَستثمِر كلَّ ما هو مُتاحٌ بين أيدينا – الذي هو في حُكم مال الظُّلم الذي لا نَملكه – ونَتَّجه بأبصارنا نحو أبديَّتنا التي ننتظرها، فنسبق ونُعدّ لأنفسنا أصدقاء باقين وحقيقيين بمال الظُّلم الذي بين أيدينا، حتى نَجدهم شُفعاء لنا في المظال الأبديَّة، كما صَنَع هذا الوكيل الحكيم. حينئذٍ، ننال رحمةً وقبولًا، وربما مدحًا وثناءً لحُسْن بصيرتنا وإفرازنا الروحي، باهتمامنا بأمر أبديَّتنا وحياتنا الباقية. ومهما كانت ضعفاتنا وأخطائنا السابقة التي صنعناها، فالربُّ كفيلٌ أنْ يَعفو عنَّا ويَصفح عن هذه الزلات، ما دُمنا قد رجعنا إليه بقلوبنا، واعترفنا بزلَّاتنا، ونَبذنا عنَّا كلَّ سلوكٍ رديء، ورفعنا أعيننا نحو السماء، مُجتَهدين أن نَصنع لأنفسنا أصدقاء، بعمل الرحمة معهم، وذلك مِن مال الظُّلم، وبكلِّ ما هو مُتاحٌ لنا من المواهب والعطايا، وبكلِّ أدوات هذا العالم الضعيف التي بأيدينا.

المفتاح الذهبي لصناعة الأصدقاء بمال الظُّلم:

بعد ما أَنْهى الربُّ حديثه عن وكيل الظُّلم، تَحدَّث مع تلاميذه والجموع المُحيطة، وأعطاهم مَثَل الغَني ولعازر المسكين. وانتهى الربُّ بهم إلى إدراك أمرٍ خطير للجميع ولنا، وهو أنَّ الغَني قد أهدَر لنفسه شَفيعًا أمام الله وأمام إبراهيم، كان من الممكن أنْ يَشفع له، بواسطة أيِّ عمل رحمة يكون قد قدَّمه لهذا المسكين الذي كان مطروحًا أمام باب قصره ليلًا ونهارًا، دون أن يُعِيره أيَّ اهتمام، أو أن يَعمل معه أيَّ عمل رحمة؛ ومِن ثمَّ انطبق عليه القول: «لأَنَّ الْحُكْمَ هُوَ بِلَا رَحْمَةٍ لِمَنْ لَمْ يَعْمَلْ رَحْمَةً» (يع ٢: ١٣). **فالرحمة، إذًا، قد صارت هي المفتاح الذهبي**، وحَبل النجاة الذي نَتعلَّق به لنَنجو من الموت. والرحمة هي طريق الإنقاذ الوحيد لنا من الدينونة، كما يقول يعقوب الرسول بالروح: «**الرَّحْمَةُ** تَفْتَخِرُ عَلَى الْحُكْمِ» (يع ٢: ١٣). فالربُّ يَدعونا **لعمل الرحمة**، مُذكِّرًا لنا بأنَّها قادرة على نجاتِنا.

وبها نَدَّخِر لأنفسنا أجرًا سمائيًّا وكَنزًا لا يَفنَى، كقول الربِّ يسوع: «بِيعُوا مَا لَكُمْ وَأَعْطُوا صَدَقَةً. اِعْمَلُوا لَكُمْ أَكْيَاسًا لَا تَفْنَى وَكَنْزًا لَا يَنْفَدُ فِي السَّمَاوَاتِ» (لو ١٢: ٣٣)، وقوله: «وَمَنْ سَقَى أَحَدَ هؤُلاَءِ الصِّغَارِ كَأْسَ مَاءٍ بَارِدٍ فَقَطْ بِاسْمِ تِلْمِيذٍ، فَالْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَهُ» (مت ١٠: ٤٢). بل ونرى أعظم من هذا، فالربُّ نَفسه يُعظِّم قَدرَ الرحمة جدًّا، إذ يَعتبرها أفضل مِن تقديم الذبائح، حيث يقول: «**أُرِيدُ رَحْمَةً لَا ذَبِيحَةً**» (مت ٩: ٣؛ هو ٦: ٦). فكما إنَّ التسبيح هو **ذبيحة حمدٍ لله**، كذلك الرحمة هي **ذبيحة اعتراف وشُكر لله** أيضًا، كما نقول في صلوات القدَّاس الإلهي: "**رحمة السلام**، ذبيحة التسبيح"، فما أَجَلُّ وأعظم ذبيحة الرحمة أمام الله!

مَنْ هم الأصدقاء الواجب اقتناؤهم:

يقول الربُّ يسوع لنا: «بَلْ إِذَا صَنَعْتَ ضِيَافَةً فَادْعُ: الْمَسَاكِينَ، الْجُدْعَ، الْعُرْجَ، الْعُمْيَ، فَيَكُونَ لَكَ الطُّوبَى إِذْ لَيْسَ لَهُمْ حَتَّى يُكَافُوكَ، لأَنَّكَ تُكَافَى فِي قِيَامَةِ الأَبْرَارِ» (لو ١٤: ١٣، ١٤). وبنفس المعنى يكتب لنا القدِّيس متى بالروح كلمات الربِّ القائل: «الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: بِمَا أَنَّكُمْ فَعَلْتُمُوهُ بِأَحَدِ إِخْوَتِي هؤُلاَءِ الأَصَاغِرِ، فَبِي فَعَلْتُمْ» (مت ٢٥: ٤٠). وكذلك وَرَد في سِفر الأمثال لسليمان الحكيم: «مَنْ يَرْحَمُ الْفَقِيرَ يُقْرِضُ الرَّبَّ» (أم ١٩: ١٧).

ممَّا سَبَق نستطيع أنْ نتعرَّف على أولئك الأصدقاء المُلائمين والمُعِينين لنا، والذين علينا أن نكسبهم بعمل الرحمة معهم؛ لكي يُعينونا ويَشفعوا فينا في المظال الأبديَّة. فمِثل هؤلاء الأصدقاء يختلفون عن أولئك الذين يُشاركوننا في مسرَّاتنا ومباهِجنا الأرضيَّة والدنيويَّة، وليسوا هم الأصدقاء الذين من طبقتنا ومستوانا الاجتماعي، ولا هم أيضًا أصدقاء السوء والشرِّ، الذين يُمكنهم أن يُوردوننا إلى موارد الموت والهلاك. ولكنَّ الأصدقاء الحقيقيِّين، هم الفقراء والمُعوَزون والضعفاء والحزانى والمرضى، أولئك الذين دعاهم الربُّ يسوع: "إخوتي الأصاغر"، فهؤلاء هم مَنْ يَقدرون أن يكونوا شُفعاءَنا أمام الله في السماء؛ وذلك بسبب أعمال الرحمة التي قدَّمْناها إليهم (من مال الظُّلم) الذي بين أيدينا، وربما يكونون أيضًا هم سبب نَجاتنا. فنحن نَتذكَّر حادثة إقامة طابيثا، التي أقامها بطرس الرسول باسم المسيح، فقد تقدَّمت إليه الأرامل يَبكينها ويُرين بطرس الأقمصة والثياب التي كانت تصنعها لهم طابيثا – كعمل رحمة معهم – فألهبوا روح بطرس الرسول، فقام وصلَّى ومدَّ يده وأقامها بنعمة الله وقوَّته، وصار هذا معلومًا في كلِّ يافا (انظر: أع ٩: ٣٩ – ٤١).

وينبغي ألَّا ننسى أنَّ كلَّ عطاء أو خير أو تعب أو تعضيد، وكلَّ صلاة أو أشياء ماديَّة أو روحيَّة نُقدِّمُها لأيِّ إنسانٍ محتاج أو ضعيف أو حزين أو فقير، أو حتى لإنسانٍ بعيد من أجل مساندته أو تعضيده، وإشباع حاجاته الجَسديَّة أو النفسيَّة أو الروحيَّة؛ فكلُّ هذه تندرج تحت عمل الرحمة والعطاء، وعلينا أنْ نجتهد فيها، لكي نربح لأنفسنا أصدقاء أشدَّاء مُقتدرين في شفاعتهم عنَّا أمام عرش النعمة. فربَّما بسبب شفاعتهم نَنجو من الدينونة العتيدة. وعلينا أنْ نتأكَّد أنَّ عمل الرحمة مع أيِّ إنسانٍ من هؤلاء الضعفاء والمساكين، إنَّما هو عملٌ مع المسيح نفسه، لأنَّ: «مَنْ يَرْحَمُ الْفَقِيرَ يُقْرِضُ الرَّبَّ» (أم ١٩: ١٧).

****

دير القدّيس أنبا مقار

صَدَرَ حديثًا **من إعداد: رهبان دير القديس أنبا مقار**

من تعاليم

أبينا القدِّيس أنطونيوس

[وهو يحتوي على عرض لكتاب: "القدِّيس أنطونيوس ناسك إنجيلي"، ولمحة سريعة عن رسائل القدِّيس أنطونيوس، وبحث عن: "جوهر الحياة الروحية بحسب تعليم القدِّيس أنطونيوس"، وكلمة في عيد الأنبا أنطونيوس، وكلمة عن: "عمل الروح القدس في المبتدئين" (الرسالة الأُولى لأنبا أنطونيوس)، ثم "كيفية قبول الروح القدس" (الرسالة الثامنة لأنبا أنطونيوس)].

والكتاب ٢١٢ صفحة (من القَطْع المتوسط)

****

جوهر الحياة الروحية

بحسب تعليم القدِّيس أنبا أنطونيوس

في رسائله العشرين[1]

(٣)

في الرسالة ١٠، يصف القدِّيس أنطونيوس أهمية الحرارة الروحيَّة ويُبيِّن أنه "ليس شيءٌ أفضل منها"، ويدعوها "حرارة اللاهوتيَّة":

[فاجتهدوا أن تقفوا أمام روح المجد الباطل وتُضادُّوه وتَقْوَوا عليه، فتأتي قوَّة الله وتُعينكم وتَثْبُت عندكم وتُعطيكم نشاطًا وحرارة كل حين. **وأنا أطلب عنكم أيضًا أن تدوم هذه الحرارة فيكم سرمدًا، لأنها حقيقية وليس شيءٌ أفضل منها.**

فإن نظر أحدٌ منكم أنَّ هذه الحرارة ليست فيه، فليطلبها باجتهادٍ وهي تأتي إليه. لأن هذه الحرارة هي تُشبه النار التي إذا قَصَد الناس أن يسلقوا شيئًا من الخُضَر، فإنهم ينفخون فيها حتى تشتعل. فإذا اشتعلت فإنَّ الماء يكتسب بحرارتها طبع النار ويفور طالعًا ومُحرِقًا. فهكذا، يا إخوتي، إذا رأيتم نفوسكم قد بردت بالغفلة والتواني، فاجتهدوا في إقامتها ونوحوا عليها، فلن تتأخر تلك الحرارة عن أن تأتي وتتَّحد بها (أي بالنفس) وتُكسِبها طبعها، فتغلي وتفور بالأعمال الصالحة ... فاعملوا أنتم أيضًا هكذا، لكي ما تكونوا مجتمعين باستعداد قلب **بضياء اللاهوتيَّة وحرارتها**، ولكي يكشف الله لكم الأسرار العظيمة التي لا تُوصَف] (رسالة ١٠: ٤، ص ٨١، ٨٢).

محبة الله من كلِّ القلب:

[أيها الأحبَّاء بالرب، إنَّ الإنسان إذا كان يحب الله بكلِّ القلب وبكلِّ الفكر وبكلِّ

---

(١) نستكمل ما تمَّ نشره بنفس العنوان في عدد فبراير ٢٠٢٤، ص ٢٥. والأقوال المُقتَبَسَة من الرسائل العشرين، مُطابقة للمخطوط م ٢٣ بمكتبة دير القدِّيس أنبا مقار مع تنقيح لغوي طفيف. وأرقام الصفحات مُطابقة لصفحات كتاب: "رسائل القدِّيس أنطونيوس العشرون"، إصدار دير القدِّيس أنبا مقار، الطبعة الخامسة: ٢٠٢٠.

النيَّة وبكلِّ القوَّة، فإنه يقتنى خوف الله. والخوف يُولِّد البكاء، والبكاء يُولِّد القوَّة. وبكمال هذه في النفس تُثمر في كلِّ الأشياء] (رسالة ٩: ١، ص ٧٨).

ليس المهم هو فقط أن نحبَّ الله؛ فمَنْ مِن الرهبان لا يحبُّ الله؟ ولكن المهم هو أن تكون هذه المحبة "من كلِّ القلب":

[والآن، يا أحبَّائي في المسيح، أنا أعلم أنكم تحبُّون الله. فاحرصوا أن يكون ذلك من كلِّ قلوبكم – وبهذا يفرح قلبي – لكى تستطيعوا أن تقتنوا قوَّة الله، وتَجيزوا بقية حياتكم في سرورٍ وفرح، وتخُفّ عليكم أعمال الرب] (رسالة ٩: ٢ ص ٧٩).

[فالآن، يا أحبَّائي بالرب، يا مَنْ تحبهم نفسى وتعلم أنهم يحبُّون الإله، اقتنوا لكم هذه القوَّة لكى تخاف منكم الشياطين، وتخُفّ عنكم الأتعاب التي تُمارسونها، وتحلو لكم الإلهيَّات؛ لأن حلاوة حبِّ الله أحلى من الشهد] (رسالة ٩: ١ص ٧٨).

وفي الرسالة ١٨، يعود إلى نفس هذا التعليم:

[وأنا أُعلّمكم عملًا آخر يُثبِّت الإنسان من البداية إلى النهاية، وهو أن يحبَّ الله من كلِّ قلبه ومن كلِّ نيَّته، ويتعبَّد له. وعند ذلك يُعطيه الله قوَّةً عظيمة وفرحًا، وتحلو له جميع أعمال الله مثل الشهد. وهكذا أيضًا كل أتعاب الجسد، والهذيذ، والسهر، وحمْل نِير الرب؛ يصير عليه خفيفًا حلوًا] (رسالة ١٨: ٨، ص ١٢٨).

إذن، فمحبة الله من كلِّ القلب هي منبع سعادة الراهب وانتعاشه الروحي. ولكن كيف نقتني هذا الحب؟ بل وكيف نحتفظ به فينا دون أن يفتر؟

يُعرِّفنا القدِّيس يوحنا أنَّ محبتنا لله ليست إلَّا ردّ فعل لمحبة الله لنا: «فِي هذَا هِيَ الْمَحَبَّةُ: لَيْسَ أَنَّنَا نَحْنُ أَحْبَبْنَا اللهَ، بَلْ أَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا، وَأَرْسَلَ ابْنَهُ كَفَّارَةً لِخَطَايَانَا ... نَحْنُ نُحِبُّهُ لأَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا أَوَّلًا» (١يو ٤: ١٠، ١٩).

والقدِّيس أنطونيوس يؤكِّد هو أيضًا هذه الحقيقة ولا يكفّ عن أن يحثَّنا أن نتأمَّل فيما صنعه الله من أجلنا بسبب "محبته غير المُدرَكة". ونجد في الرسائل السبع الأولى عدَّة مواضع متشابهة (رسالة ٢: ٢ – ٤، ورسالة ٣: ٢، ٣، ورسالة ٧: ١ – ٣) يُعظِّم فيها القدِّيس أنطونيوس "هذا التدبير العظيم" (٢: ٣)، أي تدبير خلاصنا الذي صنعه الله لنا

بموت ابنه من أجلنا، والذي سببه الوحيد هو "محبته غير المُدرَكة" (٢: ٢، ٧: ٢).

[فلأجل محبته العظيمة – إذ هو إله الكل – أراد أن يفتقد ضعفنا] (رسالة ٢: ٢، ص ١٢).

[فالله الكلمة – بمحبته غير المُدرَكة – أتى إلينا] (رسالة ٢: ٢، ص ١٣).

[فمِن الآن، أيها الأحبَّاء، ليكن هذا الكلام ظاهرًا لكم: إنَّ الآب بصلاحه لم يُشفق على ابنه الوحيد (رو ٨: ٣٢) بل أسلمه من أجل خلاصنا ... واتَّضع لأجلنا وشفانا بأوجاعه (١بط ٢: ٢٤)] (رسالة ٢: ٢، ص ١٣).

[فأطلب إليكم، أيها الإخوة الأحبَّاء، باسم ربنا يسوع المسيح، أن تَعْلَموا جيِّدًا هذا التدبير العظيم: إنَّ الإله الكلمة تشبَّه بنا في كلِّ شيء ما خلا الخطية. لهذا فالواجب على جميع الناطقين أن يَعلَموا هذا بحقيقة العقل (أي أنْ يُدركوا ذلك إدراكًا واقعيًّا)] (رسالة ٢: ٣، ص ١٤).

[وهذا عظيمٌ لنا (أي شيء في غاية الأهمية) أن نَعْلَم صورة ربنا يسوع المسيح التي اتَّخذها من أجلنا: لقد صار شبيهًا لنا في كلِّ شيء ما خلا الخطية ... لأننا بالمستجهل من أَمْره (أي بما اتَّخذه من شكل جهالتنا) صرنا حكماء (١كو ١: ٢٥)؛ وبمسكنته صرنا أغنياء (٢كو ٨: ٩)؛ وبضعفه صرنا أقوياء (١كو ١: ٢٤، ٢٥)؛ وصار هو لنا جميعًا قيامة، وأبطل عنَّا سلطان الموت] (رسالة ٣: ٣، ص ١٨).

[فليكن هذا الكلام ظاهرًا لكم] (رسالة ٢: ٣، ص ١٤).

[فهو من أجل جهلنا، اتَّخذ شكل الجهل؛ ومن أجل ضعفنا، أخذ شكل الضَّعف؛ ومن أجل مسكنتنا، أخذ شكل المسكنة؛ ومن أجل موتنا، ذاق الموت. هذه كلها صَبِر عليها من أجلنا، وبموته خلَّصنا] (رسالة ٦: ٣، ص ٢٥، ٢٦).

[فأطلب إليكم، يا أولادي الأحبَّاء، أن تفهموا هذا وتنظروا في تدابير خالقنا وافتقاده لنا] (رسالة ٦: ٤، ص ٢٦).

[لأنه ليس بمحتاجٍ لنا، ولا أتى إلينا من أجل تواضُعنا، بل لعِظَم صلاحه ورأفته علينا، ولمحبته غير المُدرَكة] (رسالة ٧: ٢، ص ٣٤).

[لأنه ما من خير من الخيرات لم يعمله معنا هو بنفسه ... فالابن الحبيب الكلمة مات عنَّا جميعًا] (رسالة ٧: ٢، ص ٣٤).

فحينما "نتفهَّم ذلك جيِّدًا وننظر في تدابير خالقنا" (٦: ٤)، يصير من السهل علينا أن نحبَّ الله من كلِّ القلب؛ بل إنَّ كلَّ ما نُقدِّمه له يصير كلا شيء إزاء ما فعله هو من أجلنا.

[فيا أولادي المحبوبين عندي،
أنا أطلب إليكم بمحبتي فيكم أن تتقدَّموا للربِّ بكلِّ قلوبكم وبكلِّ نفوسكم،
وتعلموا أن كلَّ أعمالنا التي نُقدِّمها للربِّ بالنعمة التي أعطاها لنا،
ليست تقوم مُقابل تواضُعه عنَّا] (رسالة ٧: ٢، ص ٣٤).

لكن هذه الحقيقة قد مَلَكَت على فكر القدِّيس أنطونيوس بصفةٍ غير عادية في نهاية حياته. فمع إنه لم يكفَّ كل أيام حياته عن التأمُّل فيها، لكن ما حصل عليه من اليقظة الروحية في آخر أيامه، كان من الشدَّة حتى جعله يَعتَبِر كلَّ حياته السابقة وكأنها "نوم الموت":

[أنا الشقي، أُعلِّمكم أن ربنا قد نبَّه عقلي من نوم الموت بنعمته،
وقد صار لي نوحٌ وبكاء مدَّة ما بَقِيَ لي من هذا الزمان اليسير على الأرض.
لأني أُفكِّر في نفسي: "ما هو الذى نُعطيه للربِّ عِوَضًا عن الذي صنعه معنا"؟
فقد جعل ملائكته تخدمنا ...
وما هو أعظم من كلِّ هذا:
إرساله ابنه الوحيد لخلاصنا!] (رسالة ٧: ٥، ص ٣٧).

فلنطلب من الله أن يُعطينا بشفاعة القدِّيس أنطونيوس نعمة **"اليقظة الروحية"** هذه بعينها، حتى نستطيع أن نُقدِّم نفوسنا لله كذبيحةٍ مقدَّسة مقبولة لدى الله:

[ولأجل هذا، يا أولادي الأحبَّاء، لستُ أَمَلُّ من الطِّلبة عنكم في الليل والنهار،
لكى يفتح الرب أعين قلوبكم ... ويُعطيكم قلبًا مُستيقظًا وروح إفراز،
لكى تستطيعوا أن ترفعوا ذواتكم لله ذبيحةً حيَّة مُقدَّسة] (رسالة ٦: ٥، ص ٢٦، ٢٧).

من
التراث الكنسي

معرفة الله

كأسمى هدف وأعظم فرح للحياة

من خلال الكتاب المقدَّس[1]

(١٠)

(٢) شهادات عن قوَّة كلمة الله:

دعنا نفحص، باختصارٍ، بعضًا ممَّا كتبه بعض الكُتَّاب الذين استخدمهم الله في كتابة الكتاب المقدَّس وماذا قالوا عنه:

يكتب القدِّيس بولس ويقول:

+ «وَأَمَّا أَنْتَ فَاثْبُتْ عَلَى مَا تَعَلَّمْتَ وَأَيْقَنْتَ، عَارِفًا مِمَّنْ تَعَلَّمْتَ، وَأَنَّكَ مُنْذُ الطُّفُولِيَّةِ تَعْرِفُ الْكُتُبَ الْمُقَدَّسَةَ، الْقَادِرَةَ أَنْ تُحَكِّمَكَ لِلْخَلَاصِ، بِالإِيمَانِ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ. كُلُّ الْكِتَابِ هُوَ مُوحًى بِهِ مِنَ اللهِ، وَنَافِعٌ لِلتَّعْلِيمِ وَالتَّوْبِيخِ، لِلتَّقْوِيمِ وَالتَّأْدِيبِ الَّذِي فِي الْبِرِّ، لِكَيْ يَكُونَ إِنْسَانُ اللهِ كَامِلًا، مُتَأَهِّبًا لِكُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ» (٢تي ٣: ١٤-١٧).

ويقول القدِّيس يوحنا الرَّسول:

+ «... وَأَمَّا هذِهِ فَقَدْ كُتِبَتْ لِتُؤْمِنُوا أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ، وَلِكَيْ تَكُونَ لَكُمْ إِذَا آمَنْتُمْ حَيَاةٌ بِاسْمِهِ» (يو ٢٠: ٣١).

ويكتب القدِّيس بولس أيضًا ويقول:

+ «لأَنَّ كُلَّ مَا سَبَقَ فَكُتِبَ كُتِبَ لأَجْلِ تَعْلِيمِنَا، حَتَّى بِالصَّبْرِ وَالتَّعْزِيَةِ بِمَا فِي الْكُتُبِ يَكُونُ لَنَا رَجَاءٌ» (رو ١٥: ٤).

كان تلميذَا عمواس يسيران مع المسيح القائم مِن بين الأموات في الطَّريق إلى عمواس

---

(١) بتصرُّف عن كتاب بعنوان:

Anthony M. Coniaris, *Knowing God Life's Highest Purpose & Joy.*

ولا يعرفان أنَّه يسوع. كانا يظنَّان أنَّه غريبٌ إلى نهاية سَيْره معهما، إلى أنْ أعلن لهما ذاته عند كَسْر الخُبز:

+ «فَقَالَ بَعْضُهُمَا لِبَعْضٍ: أَلَمْ يَكُنْ قَلْبُنَا مُلْتَهِبًا فِينَا إِذْ كَانَ يُكَلِّمُنَا فِي الطَّرِيقِ وَيُوضِحُ لَنَا الْكُتُبَ؟» (لو ٢٤: ١٣-٣٥).

إذا مشينا اليوم مع المسيح القائم، وسمحنا له أنْ يوضِّح لنا الكُتُب، فإنَّ قلوبنا وأذهاننا أيضًا سوف تلتهب بإشراق نورٍ جديد، وإدراكٍ جديد، وقوَّةٍ جديدة، وفرحٍ ورجاء. سنتحرَّك ليس إلى معرفة الله فقط، بل أيضًا اختبار حضوره بـ: **"قلبٍ مُلتهب".**

لا يزال الرَّبُّ يسوع يمشي معنا اليوم، وإذا مشينا معه كما فعل تلميذَا عمواس وهما في طريقهما، فإنَّه سوف يوضِّح لنا الكُتُب عند كَسْر الخبز (الإفخارستيا).

تنصح وتوصي الكنيسة الأرثوذكسيَّة المؤمنين بأن يُصَلُّوا قبل أنْ يقرأوا الكتاب المقدَّس، ونقترح الصَّلاة الواردة في قدَّاس القدِّيس يوحنا ذهبي الفم، والتي يُصلِّيها الكاهن عند المذبح قبل قراءة فصل الإنجيل (بحسب طقس الكنيسة اليونانيَّة)، إنَّها صلاة نتوسَّل فيها إلى الرَّبِّ ليفتح ذهننا إلى ما سيُقرأ مِن الكتاب المقدَّس. تقول الصَّلاة:

[أشْرق على قلوبنا، أيُّها السيِّد مُحبّ البشر، بالنُّور النَّقي لمعرفتك الإلهيَّة، وافتح عيون أذهاننا لتفهم الأشياء التي تُعلِّمها الأناجيل المقدَّسة. اغرس فينا أيضًا احترامًا لوصاياك المقدَّسة، لكي إذا ما خلعنا شهوات أجسادنا، نقتفي طريقًا روحيًّا للحياة، وأنْ نُفَكِّر وأنْ نعمل فقط ما يُسرُّك؛ لأنَّك أنتَ هو ضياء نفوسنا وأجسادنا أيُّها المسيح إلهنا، ولكَ نُعطي المجد أيُّها الآب والابن والرُّوح القُدُس، الآن وإلى كمال دهر الدُّهور. آمين] (مِن قدَّاس القدِّيس يوحنا ذهبي الفم)[٢].

أهميَّة الكتاب المقدَّس، كواسطة لمعرفة الله، أمْرٌ أكَّده الأب يوحنا الدِّمشقي Fr. John of Damascus عندما قال:

"مِن المستحيل أنْ تقول شيئًا أو تفهم جيِّدًا عن الله، أعلى ممَّا أُظهِر لنا إلهيًّا

---

(٢) قارن مع ما يُقال في الكنيسة القبطية في القدَّاس الباسيلي:
[نسألك يا سيِّدنا افتح آذان قلوبنا، لكي نسمع أناجيلك المقدَّسة. وافتح حواس نفوسنا، ولنستحقَّ أن نكون ليس فقط سامعين، بل عاملين أيضًا بأوامرك المقدَّسة، كمسرَّة الله أبيك الصالح] (أوشية الإنجيل الثانية).

بالإعلانات المقدَّسة للعهدَيْن القديم والجديد".

(٣) بخصوص الرُّهبان والقراءة في الكتاب المقدَّس:

اتُّهِمَت الكنيسة الأرثوذكسيَّة بأنَّها حجبت القراءة في الكتاب المقدَّس في أوقاتٍ مُختلفةٍ. المطران هيروثيئوس Hierotheos يوضِّح ما حدث فيقول:

"المُقاومون لمبدأ التأمُّل الهدوئي anti - hesychasts **اتَّهموا الآباء الهدوئيين** hesychasts **أنَّهم ينصحون الرُّهبان بأن يتخلَّوْا عن قراءة الكُتُب المقدَّسة، وأن يكرِّسوا أنفسهم للصَّلاة فقط. فهناك آباء كثيرون كانوا ينصحون المبتدئين بقولهم: "أنْ يحفظوا الصَّمْت في القراءات الطَّويلة، ويركِّزوا انتباههم على الصَّلاة بآيةٍ واحدة" إلى أنْ يعتادوا على الصَّلاة بلا توقُّف، حتى ولو كان جسدهم مُنشغلًا بأشياء أُخرى. وهذا لا يعني أنَّهم كانوا يُقَلِّلون مِن شأن قراءة الكُتُب المقدَّسة ويعتبرونها بلا نفع أو خطأ. لذلك كان على المُبتدئين أنْ يُكرِّسوا أنفسهم أوَّلًا للصَّلاة ويُثبِّتوا عقلهم** nous **في الله بدون أنْ يُهمِلوا قراءة الكُتُب المقدَّسة، وبعد أنْ ينالوا الذِّهن** nous **المُستنير، يمكنهم أنْ يفهموا روح الكُتُب المقدَّسة بطريقةٍ أفضل، وذلك بصورةٍ أكثر عمقًا وروحانيَّة؛ إذ قد صار لهم قرابة وصِلَة أقوى مع الرُّسُل والإنجيليِّين[٣]".**

القدِّيس صاروفيم الذي مِن صاروف على سبيل المثال، اعتاد أنْ يقرأ العهد الجديد بأكمله كلَّ أسبوع.

(٤) موضوع دراسة:

أنْ تحصل على معرفة الله، فهذا أمرٌ يتعلَّق بدراسة وقراءة كلمة الله. يحكي دي. تي. نيلس D. T. Niles عن مقابلته لرجُل كان يقول باستمرار: "لا أُومِن بهذا" بخصوص أيِّ موضوع يُطرَح له صِلة بالإيمان المسيحي. فقال يومًا ما لذلك الشَّخص: "دعني لدقيقةٍ واحدة أُحضِر فيها ورقةً وقلمًا لأكتب فيها قائمة بكلِّ الأشياء التي لا تؤمِن بها". وبعد وقتٍ قصير، جمع قائمة كبيرة قال فيها إنَّه لا يؤمن أنَّ يسوع المسيح صنع أيَّة مُعجزات، ولا أنَّ المسيح مات لأجل خطايانا، ولا يؤمن أنَّ المسيح قام مِن بين الأموات، وهلمَّ جرًّا؛ وبعد أنْ كَتَبَ نيلس هذه

(3) *St. Gregory Palamas as a Hagiorite.* Metropolitan Hierotheos of Nafpaktos. Birth of the Theotokos Monastery. Levadia, Greece. 1997.

القائمة سأله: "ما هي آخِر مرَّة قرأتَ فيها أيًّا مِن الأناجيل"؟ فأجابه منذُ آخِر مرَّة تركتُ فيها مدارس الأحد. ومِن ثمَّ تناول الصَّديق الورقة التي كتب فيها القائمة المكتوب فيها موضوعات عدم الإيمان ومزَّقها إلى نصفَيْن وألقاها في سلَّة القمامة، ونعته بأنَّه فكريًّا ليس أمينًا.

أليسَ هذا حال الكثير مِن النَّاس الذين يقولون إنَّهم لا يؤمنون، وهم لا يرغبون حتى أنْ يكونوا أُمناء، فيجلسوا ويقرأوا الكتاب المقدَّس ويُسَجِّلوا ما لا يؤمنون به. يمكننا ألَّا نؤمن إذا رغبنا في ذلك، ولكن دعنا على الأقل أنْ نكون أُمناء في هذا. اجلس وتقابل شخصيًّا مع الرَّبِّ يسوع في الأناجيل. تعرَّف عليه شخصيًّا فيما وراء مستوى مدارس الأحد قبل أنْ تبدأ في إنكاره، ولا تكن غير أمين في تفكيرك.

كتب الأب جورج فلوروفسكي Fr. George Florovsky يقول:

"خَلَقَ الله الإنسان ليسمع كلماته ويقبلها، ومِن خلالها ينمو إلى أنْ يصير مُشَارِكًا في الحياة الأبديَّة".

(٥) مِن أقوال آباء الكنيسة عن الكُتُب الإلهيَّة:

كتب القدِّيس يوحنا ذهبي الفم عن أهميَّة قراءة الكتاب المقدَّس إذا ما أردنا أنْ نعرف الربَّ، فقال:

[أَصْغِ، لهؤلاء الذين يعيشون في العالَم ولديهم زوجات وأولاد، يودِع لهم القدِّيس بولس الوصيَّة: «لِتَسْكُنْ فِيكُمْ كَلِمَةُ الْمَسِيحِ بِغِنًى، وَأَنْتُمْ بِكُلِّ حِكْمَةٍ» (كو ٣: ١٦)**، لا بخفَّة واستهتار، ولكن باهتمامٍ شديد. أصغوا، أتوسَّل إليكم، أنتُم الذين تهتمُّون لتعيشوا حياة مسيحيَّة حقيقيَّة، وتتوقون إلى قراءة الكُتُب التي فيها شفاء للنَّفس. إذا تعسَّر عليكَ الحصول على كلِّ الكُتُب، فعلى الأقل العهد الجديد: الرَّسائل، وسِفْر الأعمال، والأناجيل الأربعة لمنفعتك وتعليمك المُستمرّ. إذا ما أصابتكَ أحزان، اغطَس فيها كما لو في خزانة أدوية، وخُذ منها عزاءك في أتعابك، وبالأكثر عند فقدانكَ عزيزٍ لديك، أو موت أحد، ابن أو ابنة، فلا يكفيكَ أنْ تغوص فيها؛ بل اتَّحِد بها، وتفكَّر فيها، لأنَّ هذا هو أصل كلِّ شر ألَّا تعرف الكُتُب المقدَّسة]**

(العظة على شرح رسالة كولوسي Homily on Colosians by St. Chrysostom).

(يتبع)

بحث تاريخي

كنائس قبطية باسم القديس يوحنا المعمدان في مصر

(٣)

الأستاذة الدكتورة/ شيرين صادق الجندي

أستاذ الآثار والفنون القبطية

ورئيس قسم الإرشاد السياحي بكلية الآداب – جامعة عين شمس

في الجزء العلوي لشرقيَّة كنيسة الأربعة أحياء غير المُتجسِّدين، وهي أصغر الكنائس المُشيَّدة في دير القدِّيس أنطونيوس الكبير في محافظة البحر الأحمر، يوجد رسم جداري كبير يتضمَّن موضوعًا زُخرفيًّا هامًّا، وهو منظر الشفاعة[١] Deisis scene، وهو من المناظر الدينية غير الشائعة في الفنون القبطية، ولكن مُعتاد رؤيته في الأديرة والكنائس البيزنطية. وفي منتصف هذا المنظر (الشكل رقم ٧)، يظهر

الشكل رقم ٧. منظر الشفاعة في شرقيَّة الأربعة أحياء غير المُتجسِّدين في دير القدِّيس أنطونيوس الكبير في البحر الأحمر – القرن الثالث عشر الميلادي.

P. Van Moorsel, *Les peintures murales du monastère de saint Antoine près de la mer rouge*, 2 vols., Le Caire, 1995.

(1) J. LEROY, "Le programme décoratif de l'église de St. Antoine du désert de la mer rouge", *BIFAO* 76, (1976), 347 – 379; P. VAN MOORSEL, "Dayr Anba Antuniyus: Wall Paintings*",* in: A.S. ATIYA (ed.), *Coptic Encyclopedia*, vol.3, Macmillan International Company, New York, 1991, 726-728; P. VAN MOORSEL, *Les peintures murales du monastère de saint Antoine près de la mer rouge*, avec des contributions de P. GROSSMANN, K. INNEMEE & P.-H. LAFERRIERE et la collaboration de PH. AKERMANN, ABDEL-FATAH NOSSEIR, B. PSIROUKIS, K. CRENA DE IONGH & J. RUNIERSE, 2 vols., Le Caire, 1995; G. GABRA, *Coptic Monasteries. Egypt's Monastic Art and Architecture*, with a Historical Overview by T. VIVIAN, Cairo-New York, 2002, 79, pl. 6.4; E.S. BOLMAN & P. GODEAU (eds.) 2002: *Monastic Visions. Wall Paintings in the Monastery of St. Antony at the Red Sea*, Cairo (Yale University Press) 2002; E.S. BOLMAN, «Final report: December 2002-May 2004 Campaign EAP Sub-project: Conservation and Publication of the Late Antique and Medieval Wall Paintings and Sculpture in the Red Monastery (Deir Anba Bishoi), Sohag», *Mishkah* 3, (2008): 23-46.

السيِّد المسيح ضابط الكل بحجمٍ كبير من الأمام داخل هالة المجد بيضاوية الشكل، والتي يحملها أربعة من الملائكة المُجنَّحة تظهر من ثلاثة أرباع في أوضاع مختلفة. ويجلس السيِّد المسيح على العرش، مانحًا البركة بيدهِ اليُمنى ومُمسكًا بالكتاب المقدَّس في يده اليُسرى. وملامح وجهه وشعره الطويل المُنسدل على أكتافه ولحيته القصيرة تعكس تأثيرات الفنون البيزنطية. وعلى يمين هالة المجد، تظهر السيِّدة مريم العذراء خلف اثنين من الأربعة أحياء غير المُتجسِّدين. وعلى يسار هالة المجد، يظهر القدِّيس يوحنا المعمدان خلف اثنين آخرين من الأحياء غير المُتجسِّدين. ونراهم كلهم من ثلاثة أرباع في تناسُقٍ دقيق بشكلٍ لافت للانتباه. ويتميَّز هذا المنظر الزُّخرفي الجميل الذي يرجع إلى حوالي القرن الثالث عشر الميلادي، بكثرة ما به من عناصر زخرفية بديعة، وبتعدُّد ألوانه الزاهية، وبوجود بعض الكتابات القبطية التي نقرأ فيها اسم السيِّد المسيح "عمانوئيل". وفي أسفل هذا المنظر الزُّخرفي، توجد كتابة قصيرة باللغة الأرمنية، نقرأ فيها كلمة "قدوس" أو "تقدَّس" ثلاث مرَّات.

الشكل رقم ٨. رسم جداري للقدِّيس يوحنا المعمدان على الحائط الغربي في هيكل القدِّيس بنيامين بالكنيسة الرئيسية في دير القدِّيس أنبا مقار بوادي النطرون.
J. Leroy, *Les peintures du Ouadi Natroun*, Le Caire, 1982.

ويتكرَّر منظر الشفاعة في الناحية الشرقية من القبة التي تعلو هيكل القدِّيس يوحنا المعمدان في الكنيسة الرئيسية الكبيرة بدير القدِّيس أنبا مقار بوادي النطرون[٢]، ولكن مع وجود كثير من الاختلافات الجوهرية، حيث يظهر السيِّد المسيح في الوسط واقفًا بكامل جسده، بينما يظهر النصف العلوي فقط من جسدَي كلٍّ من السيِّدة العذراء مريم والقدِّيس يوحنا المعمدان داخل إكليل أو شكل دائري، وبدون وجود الأربعة

(2) H.E. WHITE, *the Monasteries of the Wâdi'n - Natrûn*, vol.3. *The Architecture and Archeology*, New York, 1933; O.H.E. KHS-BURMESTER, *A Guide to the Monasteries of the Wadi'n - Natrun*, Cairo, 1954, 30-31; J. LEROY, *Les peintures des couvents du Ouadi Natroun*, publiées avec la collaboration de B. LENTHÈRIC, P.H. LAFERRIÈRE, H. STUDER, E. RAVAULT, B. PSIROUKIS & J.F. GOUT, Le Caire, 1982, 53-60; G. GABRA, *Coptic Monasteries. Egypt's Monastic Art and Architecture*, with a Historical Overview by T. VIVIAN, Cairo-New York, 2002, 61-62, pl. 4.7.

أحياء غير المتجسِّدين. ويعلو الثلاثة أشكال الآدمية، ظهور موسى النبي وأخيه هارون وهما متواجهان. وفي نفس الدير في وادي النطرون، ولكن على الحائط الغربى لهيكل القدِّيس بنيامين (الشكل رقم ٨)، يظهر أيضًا شكل القدِّيس يوحنا المعمدان واقفًا من الأمام أسفل عقد يحمله عمودان[٣]. وتُحيط برأسه هالة دينية ذهبية اللون. وتعكس ملامح وجهه خصائص الفن القبطي، لا سيَّما العيون اللوزية الواسعة واللحية الطويلة. وكُتِب اسمه باللغة القبطية على يمين وجهه على أرضية رمادية اللون. ويحمل القدِّيس يوحنا المعمدان الحَمَل داخل شكلٍ دائري في إشارة إلى السيِّد المسيح. وبوجهٍ عام، يُعتبَر فن الرسومات الجدارية من أهم الفنون القبطية التي أمدَّتنا بأهم تفاصيل حياة الرهبنة والرهبان في الأديرة، وكثير من المعلومات عن قدِّيسي وشهداء الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، ومراحل تعذيبهم واستشهادهم ومعجزاتهم المختلفة. وتنوَّعت كذلك الأساليب الصناعية لكلِّ هذه الرسومات الجدارية، ما بين الفريسكو والتمبرا والشمع. ومن هذه الرسومات الجدارية ما هو في حالة جيِّدة من الحفظ، ومنها ما هو مكسور جزئيًّا، ومنها أيضًا ما هو شبه مُدمَّر أو مُهشَّم تمامًا.

الشكل رقم ٩. حامل أيقونات الهيكل الرئيسي في الكنيسة المُعلَّقة للسيِّدة مريم العذراء بمصر القديمة، القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي.

وفي الكنيسة المُعلَّقة للسيِّدة مريم العذراء في مصر القديمة، مجموعة من الأحجبة الخشبية المُطعَّمة بالعاج والأبنوس، والتي ترجع إلى العصر المملوكي، وبالأخص إلى القرن الثالث عشر الميلادي. ويعلو حجاب الهيكل الأوسط والرئيسي لهذه الكنيسة صفٌّ من سبع أيقونات نفيسة، يظهر عليها من اليمين إلى اليسار كلٌّ من: القدِّيس بولس الرسول – رئيس الملائكة ميخائيل – القدِّيس يوحنا المعمدان – السيِّد المسيح ضابط الكل جالسًا على العرش – السيِّدة العذراء مريم – رئيس الملائكة غبريال – القدِّيس بطرس الرسول (الشكل رقم ٩). وهم يقفون من ثلاثة أرباع وينظرون جميعًا في اتجاه السيِّد المسيح. كما

(3) G. GABRA, *Coptic Monasteries. Egypt's Monastic Art and Architecture*, with a Historical Overview by T. VIVIAN, Cairo-New York, 2002, 58-59, pl. 4.3.

تُحيط برؤوسهم الهالات الدينية. وتعكس تفاصيل ملابسهم تأثير الفن البيزنطى المعتاد رؤيته في كثيرٍ من زخارف تُحَف أثرية قبطية أُخرى. وبصفةٍ عامة، تظهر السيِّدة مريم العذراء دائمًا على يمين السيِّد المسيح في أغلب زخارف التُّحف الأثرية القبطية. كما يمكن القول بأنَّ ظهورها على يمين السيِّد المسيح، وكذلك ظهور القدِّيس يوحنا المعمدان، هو جزءٌ من منظر الشفاعة المرسوم على الجدران الداخلية في ديرَيْن بوادى النطرون والبحر الأحمر.

الشكل رقم ١٠. أيقونة أثرية بالكنيسة المُعلَّقة للسيِّدة مريم العذراء بمصر القديمة.

وفي نفس الكنيسة، يتكرَّر ظهور القدِّيس يوحنا المعمدان بصُحبة السيِّدة مريم العذراء والسيِّد المسيح على أيقونة هامة تُعرف باسم: "الجوكندا القبطية" (الشكل رقم ١٠)[٤]. وفي منتصف الأيقونة، تُشاهَد السيِّدة مريم العذراء جالسة وهي تحمل المسيح طفلًا، بينما يظهر على يمينها القدِّيس يوحنا المعمدان في مرحلة الصِّبا أو بداية الشباب، وهو أمرٌ غريبٌ إلى حدٍّ ما، حيث إنَّ فارق العمر بينه وبين المسيح كان ستة أشهر تقريبًا، وربما كان هذا خطأ من الفنان الذي رسم الأيقونة.

الخاتمة:

ومِمَّا سبق، تتضح قِلَّة الأديرة والكنائس القبطية التي شُيِّدت على اسم القدِّيس يوحنا المعمدان في مصر، رغم كونه شخصية محورية في الكتاب المقدَّس وفي الكنيسة القبطية الأرثوذكسية. ولا يوجد تفسير واضح لهذه الظاهرة الغريبة، ولكن ربما بُنِيَت له منشآت دينية مختلفة تدمَّرت في عصور الاضطهاد الطويلة التي عاشها الأقباط على مرِّ العصور المختلفة.

وعلى الرغم من ذلك، تزخر المتاحف الأثرية القومية والعالمية بمجموعاتٍ كبيرة من التُّحف الأثرية الفريدة والنفيسة التي تتجلَّى في زخارفها أشكال القدِّيس يوحنا المعمدان، لا سيَّما الرسومات الجدارية والأيقونات والتُّحف الخشبية والمعدنية والمخطوطات. وتمدُّنا زخارف كلِّ هذه التُّحف البديعة بتفاصيل كثيرة عن حياة هذا القدِّيس وكيفية استشهاده. كما تُقام له الاحتفالات سنويًّا في عدَّة مناسبات ارتبطت بأحداثٍ هامة في حياته.

---

(4) *THE ESCAPE TO EGYPT ACCORDING TO COPTIC TRADITION*, Cairo, 1993, 34.

دراسات عن المسيحية في العصور الأولى

الإيمان بالثالوث[١]

الفكر اللاهوتي الكتابي

للكنيسة الجامعة في القرون الأولى

(٢)

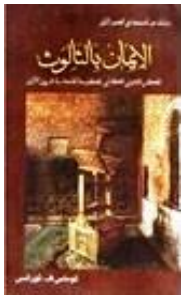

نستكمل في هذا العدد تقديم كتاب: "الإيمان بالثالوث"، حيث يعرض لنا الفكر اللاهوتي الكتابي للكنيسة الجامعة في القرون الأولى من خلال تقديمه لقانون الإيمان في ضوء تعاليم وكتابات آباء الكنيسة الشرقية في عصرها الذهبي، وبالأخص القدِّيس أثناسيوس الرسولي، في شرح وصياغة عقيدة الثالوث، بكونه "جوهر واحد، ثلاثة أقانيم".

يختصُّ **الفصل الخامس**، بالتعليم العقائدي عن الروح القدس. وحيث إنَّ ابن الله هو الذي تجسَّد وليس الآب أو الروح القدس، فإنه بالابن فقط نستطيع أن نعرف الروح القدس، مثلما نعرف الآب. إذن، فمعرفتنا للروح القدس، مثل معرفتنا للآب، تُستَمَدُّ من معرفتنا للابن، وبالتالي فإنَّ عقيدة الروح القدس تُتمِّم وتُكمِّل عقيدة الآب والابن، وتُعمِّق معرفتنا للثالوث القدوس. وبعد مجمع نيقية، صار مُستقرًّا في الأذهان أن إنكار ألوهيَّة الابن يعني ضمنيًّا إنكار ألوهيَّة الروح القدس، لذا كان لا بد من صياغة عباراتٍ إيمانيَّة مُحدَّدة عن الروح القدس على غرار تلك التي تمَّت صياغتها بالنسبة للابن، وهذا ما حدث في مجمع القسطنطينية.

ولم تتشكَّل عقيدة الروح القدس من عبارات الكتاب المقدس فقط، أو من الصيغة المُستخدمة في تمجيد الكنيسة للثالوث القدوس فقط، بل أيضًا من واقع معرفة الله في إعلانه عن ذاته لنا بواسطة الابن وفي شركة الروح القدس.

وقد جاء الاعتراف بألوهيَّة الروح القدس ليؤكِّد طبيعته الإلهيَّة، وحقيقة أنَّ حضوره فينا هو نفس حضور الله ذاته. ومع إنَّ حضور الله فينا – في الروح القدس – يملأنا بالمهابة أمام عظمة جلاله الذي لا يُنطق به، إلَّا أنَّ هذا الحضور المهيب لا يَطْغَى علينا، وإنما يعمل فينا بشكلٍ هادئ ورقيق ليُساندنا ويُحيينا.

الروح القدس هو الذي يخلق ويُساند الكنيسة في حياتها وبقائها، مُوحِّدًا إيَّاها بالمسيح بكونها جسده على الأرض.

---

(١) الكتاب صادر عن مركز باناريون للتراث الآبائي. طبعة ثانية مُنقَّحة: نوفمبر ٢٠١٠م. ويقع الكتاب في ٣٩٠ صفحة. تأليف: توماس ف. تورانس، ترجمة: دكتور عماد موريس إسكندر، مراجعة: دكتور جوزيف موريس فلتس.

يُسلّط **الفصل الأخير** الضوء على مفهوم القدِّيس أثناسيوس عن الثالوث القدوس بكونه ثالوثًا في وحدة، ووحدة في ثالوث. إنَّ معرفة الله لا تكون إلَّا من خلال الابن ولا آخر سواه. وبالقطع فإنَّ الابن ليس هو الآب، ولكنه بكونه المولود من جوهر الآب، وبكونه من ذات الجوهر الواحد معه، فإنَّ لاهوت الابن ولاهوت الآب هو واحدٌ تمامًا. وهذا يعني أنَّ معرفة الابن بالنسبة لنا تكون هي نفسها معرفة الآب، بسبب عدم انفصال الآب عن الابن والابن عن الآب.

وكان مفهوم الـ "**هوموأوسيوس**" يُشكِّل المحور الرئيسي في فكر القدِّيس أثناسيوس، لأنه كان يُعبِّر بصورةٍ دقيقة عن الوحدانيَّة في ذات الجوهر، والعمل الذي بين الابن المُتجسِّد والله الآب. كذلك يحوي أيضًا مفهوم علاقة التواجُد (الاحتواء) المُتبادَل للأقانيم داخل جوهر الله الواحد. وهو ليس مجرد ارتباط أو اتصال بين الثلاثة أقانيم الإلهيَّة، ولكنه كان يعني السُّكنى الكاملة المُتبادَلة بينهم: فبينما كل أقنوم يظل كما هو مُحتفظًا بتمايُزه كآب وابن وروح قدس، إلَّا أنه يكون بكامله في الأقنومَيْن الآخَرَيْن، كما إنَّ الأقنومَيْن الآخَرَيْن هما بالكامل فيه.

+ وقد ساهم الآباء الكبادوكيون تحت قيادة القدِّيس باسيليوس الكبير مساهمة كبيرة في الفهم الروحي لإيمان نيقية. وقد ساعد هؤلاء الآباء في التوصُّل إلى اتفاقٍ لاهوتي عام حول عقيدة الثالوث القدوس بعيدًا عن انحرافات سابيليوس وأريوس. وقد ركَّز هؤلاء الآباء على صيغة "جوهر واحد، ثلاثة أقانيم"، بطريقة أظهرت السِّمَات الخصوصيَّة والأقنوميَّة لكلٍّ من الآب والابن والروح القدس في وحدتهم وشركتهم الديناميكيَّة مع بعضهم البعض.

+ وبالنسبة للقدِّيس كيرلس الكبير، فإنه يقول إنَّ كلَّ شيء يعتمد على حقيقة أنَّ الثلاثة أقانيم الإلهيَّة كلُّ أقنوم منهم كائنٌ في الأقنومَيْن الآخرَيْن بغير انقسام، وأنَّ الأقانيم الثلاثة في ذات الجوهر الواحد وذات الطبيعة الواحدة. وبما إنَّ الروح القدس لا يمكن أن ينفصل عن الطبيعة الإلهيَّة والجوهر الإلهي، فهو ينبثق من الآب في الابن. وقد أورد المؤلِّف هذه الصلاة إلى الثالوث القدوس في نهاية الكتاب:

صلاة إلى الثالوث القدوس

يا الله الأبدي، ضابط الكل،
الذي أظهرتَ ذاتك بكونك آبًا وابنًا وروح قدس،
الكائن إلى الأبد، والمالك في وحدانيَّة الحب الكاملة،
هَبْ لنا أن نتمسَّك على الدوام بهذا الإيمان بفرحٍ وثبات،
وأن نحيا في تسبيح مجدك الإلهي،
حتى نصير أخيرًا واحدًا فيك،
أيها الثالوث القدوس الإله الواحد إلى دهر الدهور، آمين.

- **مُبَشِّر صيني يُخاطر بتهريب الكُتُب المقدَّسة للتبشير في الصين.**
- **الحزب الشيوعي الصيني يُشوِّه ترجمة الكتاب المقدَّس.**

✠✠✠

مُبَشِّر صيني يُخاطر بتهريب الكُتُب المقدَّسة للتبشير في الصين:

"مينج" مُبَشِّر مسيحي صيني يبلغ من العمر ثمانية وثلاثين عامًا، آل على نفسه حَمْل البشارة لشعبه في الصين، رغم عِلْمه بقوَّة السُّلطات الحاكمة ومُراقبتها كل شخص باستعمال كاميرات المراقبة.

ويقول "مينج": "إن الله وَضَعَ في قلبي حَمْل البشارة باسم يسوع المسيح عن طريق توزيع الكُتُب المقدَّسة رغم الخطر المُحدِق بي".

كما يقول أيضًا: "إنَّ احتمال اعتقالي وسجني أمرٌ وارد، وهذا ما حدث بالفعل". لكن الله أنقذه من السجن، فكان عليه توَخِّي مزيدًا من الحذر. فالسُّلطات منعته من الذهاب للكنيسة أو حتى امتلاك كتاب مقدَّس. ولذا تقوم الشرطة بتفتيش منزله دوريًّا، ويتم التضييق على مؤسَّسته التي ينتمي إليها وهي: "مؤسَّسة الأبواب المفتوحة".

والمؤسَّسة من جهتها، تُقَدِّم له الدعم الروحي، فضلًا عن الدعم المادي، الأمر الذي آزر إيمانه وشجَّعه رغم الأخطار المُحيطة به، ورغم ذلك لم يكفَّ عن حَمْل البشارة بالإنجيل حتى لو كان ذلك شفاهةً. **(عن: CWN)**

✠✠✠

الحزب الشيوعي الصيني يُشوِّه ترجمة الكتاب المقدَّس:

وضع الحزب الشيوعي الصيني ترجمة جديدة للكتاب المقدَّس تُغاير الحقائق الإيمانية. فقد بدأ مسيحيُّو الصين في استلام أناجيل رسميًّا من السُّلطات الحاكمة لأول مرَّة. ويبلغ عدد المسيحيين في الصين حوالي مائة وثلاثين مليون مؤمن، وهو العدد المُسجَّل في السِّجِلَّات الرسمية، غير الكنائس التي تحت الأرض أي الكنائس السرِّية. واللافت للنظر أنَّ هذا العدد يفوق عدد أعضاء الحزب الشيوعي الصيني، والبالغ عددهم ثمانية وتسعون مليونًا.

ولقد زاد الاضطهاد نظرًا لتكاثُر أعداد المؤمنين، مِمَّا دفع الحزب لاستهداف الكتاب المقدَّس ذاته، فأُطلقت حملة سُمِّيَت: "تحديث الكتاب"، تقوم على إزالة مقاطع لا تتوافق مع المُعتقدات الشيوعية، فضلًا عن الاضطهاد المُمَنهج للمسيحيين.

ومثال لتلك التعديلات، جاء الاقتباس من يوحنا ٨: ٧ عن المرأة التي أُمسكت في ذات الفعل، بإضافة: "إنه بعد أن انصرف الجميع، رَجَمَ يسوع المرأة بنفسه، وقال: وأنا أيضًا خاطئ".

يقول: "بوب فو" مؤسِّس منظمة "china aid": "إنه إضافة لهذه الحملة، تمَّ منع الكتاب المقدَّس للأطفال تمامًا، كما أُزيلت جميع تطبيقات الكتاب المقدَّس من جميع متاجر بيع التطبيقات الإلكترونية. كما يُجبَر جميع التلاميذ على التوقيع بالتعهُّد بالتخلِّي نهائيًّا عن إيمانهم وإلَّا ... فالقضية بالنسبة للحزب الحاكم هي السيطرة. وأيُّ شيء يُعيق الحزب عن السيطرة التامة له على المواطنين وسلوكياتهم، يُحارَب بكلِّ قوَّة. وهذه الترجمة الشيوعية الحديثة، هي أحد أهم سُبُل الحزب للسيطرة على المواطنين المسيحيين لدفعهم لخدمة مصالح وأهداف الحزب فقط. وهو لذلك محكومٌ عليه بالفشل مُقدَّمًا، لأنه يُحارب مَنْ لا يمكن هزيمته: **"الإيمان""**. **(عن: CWN)**

✠

LIVING WITH CHRIST

Articles of Comfort and Blessings Offered to the Reader

In this issue, Father Matta continues his reflections on new verses, on believing the Son of God and worshipping Him. Enjoy! Note: *All quotations are taken from the* ***New King James Version,*** *if not otherwise mentioned.*

Volume Four

Chapter 24

"He who believes in the Son has everlasting life; and he who does not believe the Son shall not see life, but the wrath of God abides on him."

John 3:36

AS SONS OF ADAM, we were all children of God's wrath. And when Christ came, he reconciled us with the Father[1] and on the cross He lifted God's wrath from us. Therefore, the one who believes in the Son will have, with Him, eternal life, whereas if he does not believe the Son, who reconciled us with the Father, the wrath of the Father will surely rest on him.

Thus, faith in Christ means reconciliation with God; whereas unbelieving Christ implies that we remain under the wrath of God. And so, faith in Christ is a sure necessity, not out of our goodness, but rather out of an inescapable, imperative reality. Yet, at the same time, faith in Christ remains a grace, a gift, a mercy and peace for man, for if he abides in the Christian faith, it is as if he commits to the mercy of God, His grace, gift and peace. So, how great of a commitment this is, and what excellent choice; it is as if man chooses life rather than death, or cleaves to love, and dusts hatred off of himself.

We believe in Christ that we may have eternal life, reconciliation with God the Father and salvation from the wrath of God on Adam and his children. And so, just like we have experienced we relay our experience, and just as we rejoiced through our belonging to Christ, we aim to make the reader rejoice that he may receive what we received. For Christ, as He was described, is the treasure in the field, which, when a man found it, he sold all his possessions and bought the field to attain the treasure. The field is offered to you and likewise the treasure. And the price of the field does not exceed to believe in the parable, and the value of the

[1] See 2 Corinthians 5:18.

treasure is worth more than the field and more than the world where the field is.

All that is on earth is vain, all that is in heaven remains, so, beloved, treasure for yourself a treasure in heaven that does not fade. For he who uses the world is like he who does not[2], because at the end, the world will not last nor will the one who uses it. Remaining is only for him who overcomes the world, not the one who uses it, and victory over the world is our faith[3] in the One who overcame the world for us[4].

The greatest thing that Christ offered to humanity is His victory over the world on His cross; so the greatest victory for us became the fact that we overcome the world that Christ overcame for us.

So all of our striving is confined in avoiding the enticement of this world, which is armed against us with the most pleasurable and lustful entertainment, and which exalted money that it became man's only god. And so for man to be liberated from the world's powerful enticement, he became in need of wisdom, grace, understanding and patience, and weighing of all that the world offers today with the right scale to discover how the world strives to swallow up man's time in an illusive rush with its entertainment, news and pleasures, hiding from his eyes the vast vacuum that it is driving him to, while he walks, blindfolded, not seeing anything but whatever fills his eyes, stomach and mood.

Thus, we now call for watchfulness of heart and conscience, that man may see where God's way is that leads to the true life which lasts forever, and that his eyes may be opened to avoid the way of sure death hidden behind the world's modern entertainment and enticing pleasures, for they are truly a lurking enemy, ready with an evil and gushing power to destroy the Christian's desire for and hope in eternal life.

December 22, 2005

---

[2] See 1 Corinthians 7:31.
[3] See 1 John 5:4.
[4] John 16:33.

Chapter 25
"[T]he true worshipers will worship the Father in spirit and truth; for the Father is seeking such to worship Him" (John 4:23)

TO WORSHIP GOD is to offer obedience and exaltation with a contrite and humble soul. And as much as worship is praise to God, as much as it is rest for the soul, for the soul does not find rest except in the presence of God in true contrition. Thus, it comes out from the presence of God charged with content-

ment and gratitude, because God is not in need of us, but rather we are the ones in need of Him. And when Christ says that God is seeking such to worship Him in spirit and truth, he uncovers for us where we would find our rest, since our rest in God is the secret for our rest on earth. He who does not find his rest in worshipping God in spirit and truth, will not find rest in the world even if he were the wealthiest man on earth.

For we live for God, and from Him we acquire our life, our being and our rest, and without Him, our life on earth is worthless, and we become like one of the beasts eating and dying. Thus, worshipping God is a confession of His being and a declaration of our being. And so, if we do not worship God, we become like those who are not existent, and we deny God His presence. How awful of a life that would be and how cursed of a portion.

Therefore, Christ rightly says, exhorting, that God is seeking such to worship Him in spirit and truth. So if we do not listen to God's request, to offer Him worship in spirit and truth, we become like one who blasphemes against God, and we deny His presence, and refute His goodness.

Continuous worship of God in spirit and truth is also a denouncement of Satan who cannot stand worship of God. For that reason, Satan appeared to Christ, to Him be glory, and asked Him to bow down to him, and the price was to give Him "all the kingdoms of the world"[1], over which he rules by God's permission, and which He gave to him for their testing and for examining the extent of their faithfulness to God. But Christ's direct answer was, "You shall worship the LORD your God, and Him only you shall serve."[2] Thus, bowing down to God is worshipping God, and worshipping God is a denouncement of the devil's authority. This is why man's most joyful time is that which he spends in adoration of God and worshipping Him. And the secret behind this is that we acquire our being, life and happiness from God, not only every day, but every hour.

How awesome is the moment in a person's life when the deacons cry out in the church, "Worship God!!!", for this moment is the core of our worship and the pulse of our true life. We get up from this worship breathing God and embracing the remainder of the liturgy as if we were in heaven.

We read in the Paradise of the Fathers about the hermits in the caves, that they used and still find in relentless prostrations the secret to their life, happiness and delight. They spend their night and day watching and worshipping until the slumber of death overtakes them.

Our fathers and mothers were so devoted to worshipping God, and we

[1] Matthew 4:8, 9.
[2] Luke 4:8.

received from them the secret to the adoration and worship of God in spirit and truth. So, may Christ's call, that God is seeking those who worship Him in spirit and truth, be our message to you, oh joyful reader, in these days in which the secret to worship in spirit and truth has been erased.

December 22, 2005

****

Father Matta El-Meskeen

ON SALVATION

We are holding and clinging on, not to an idea or a principle, but to a power Christ created by his death and a power Christ created by his resurrection. The first gave us total redemption from death and sin. The second gave us eternal life and exalted our nature. This power is not far from us but exists within us, because we are partners in it. We died with Christ and rose with Him. For He died for us and rose for us. With the power of death we descended to the abyss and fulfilled the ultimate punishment of the sentence passed on us as sinners and transgressors. With the power of the resurrection we rose from hell and the abyss and even soared above the earth itself, to the realm of God—there to live with God in Christ. God caused us to be raised with Christ and gave us all that is Christ's and all Christ's deeds. Both the power of death and the power of the resurrection have become within us, a fact which we feel and know every day. It is not a temporal event that has been fulfilled once and for all and has become part of the past, for he who died for us and in whom we died is the Son of God. The temporal event became in him absolutely eternal. The death he died started in us a process of sanctification and moreover set us free for ever from sin and death. We rose and our resurrection also became eternal. We are [both] dead and raised up in Christ: "For Your sake we are killed all day long" (Romans 8:36). Consequently for Your sake we are being raised up every day.

The temporal event was transformed into spiritual action, and a power we live by. The temporal event was transformed into a spiritual act, and the spiritual act is a power that surpasses the flesh, time and matter. This is the mystery of Christ's incarnation, that he should fulfill in the flesh the temporal act needed for our salvation, which is death. But his death changed from a temporal to a spiritual act. It became a power that entered into us and which we entered into. So [this power] belongs to us and we to it.

We therefore say that we were saved with complete effectiveness, meeting every criteria in the past, in the present, … the future and all eternity. We practice this salvation and live it out; we hold on to it [firmly]. No power in existence can snatch it away from our hearts or souls, because we are still living with Christ in his death and in his resurrection.

(Excerpt from a Commentary on the Epistle to the Galatians).

✞✞✞

No place for despair

Is it possible for one to repent and be saved? It is absolutely and most certainly the case. What, though if I have wasted all my life in sins and then repent: will I be saved? Yes, indeed! […] If it were only up to repentance, then assuredly be afraid. However, since repentance is mixed together with the philanthropy of God, take courage. For God's philanthropy is immeasurable, nor can any word provide the measure of his goodness […] Your wickedness, whatever it may be, is human wickedness; but God's philanthropy is ineffable. Have courage because it surpasses your wickedness. Just think of one spark that fell into the sea; could it stand or be seen? What one spark is in comparison to the sea, so wickedness is before the philanthropy of God; not even this much, but much more so. For the sea, even though it is vast, has limits; but God's philanthropy is unlimited.

On Repentance and Almsgiving, Hom. VIII,
tr. G. G. Christo, FC 96, p. 112-113

****

ἐκ τοῦ ἁγίου Ἰωάννου τοῦ Χρυσοστόμου

Μετανοήσαντα σωθῆναι; Καὶ πάνυ ἔνι. Πάντα τὸν βίον ἐν ἁμαρτίαις διέτριψα, καὶ ἐὰν μετανοήσω, σώζομαι; Πάνυ […] Εἰ ἡ μετάνοια μόνη ἦν, εἰκότως ἐφοβοῦ· ἐπειδὴ δὲ τῇ μετανοίᾳ κεράννυται Θεοῦ φιλανθρωπία, θάῤῥει· Θεοῦ γὰρ φιλανθρωπίας μέτρον οὐκ ἔστιν, οὐδὲ λόγῳ ἑρμηνευθῆναι δύναται αὐτοῦ ἡ ἀγαθότης […] Ἡ σὴ κακία οἵα ἐὰν ᾖ, ἀνθρωπίνη ἐστὶ κακία, ἡ δὲ τοῦ Θεοῦ φιλανθρωπία ἄφατος· καὶ θάῤῥει, ὅτι περιγίνεταί σου τῆς κακίας. Ἐννόησον σπινθῆρα εἰς πέλαγος ἐμπεσόντα· μὴ δύναται στῆναι ἢ φανῆναι; Ὅσον σπινθὴρ πρὸς πέλαγος, τοσοῦτον κακία πρὸς τὴν τοῦ Θεοῦ φιλανθρωπίαν· μᾶλλον δὲ οὐδὲ τοσοῦτον, ἀλλὰ πολλῷ πλέον. Τὸ μὲν γὰρ πέλαγος, κἂν μέγα ᾖ, μέτρον ἔχει· ἡ δὲ τοῦ Θεοῦ φιλανθρωπία ἀπεριόριστος.

PG 49, 337

St. Mark *Monthly Review*
Published by: The Monastery of St. Macarius the Great, Wadi El-Natrun.
ANNUAL SUBSCRIPTIONS (10 issues a year, July & August excluded, sent by Int. Courier):
U.S.$ 100.00; Single Copies U.S.$ 10.00
Subscriptions to be paid through our Website as mentioned below, or sent by a check to:
"St Macarius Printing House", P.O. Box 1574, Centreville, VA 20122, USA.
No materials may be reproduced in whole or in part without written permission from the publisher.
© 2024 by the Monastery of St. Macarius the Great.
Library of Congress Catalogue Card Number: 80–960629. ISSN 2805-2382
VISIT THE WEBSITE OF THE MONASTERY: WWW.STMACARIUSMONASTERY.ORG

St. Mark *Monthly Review*
Published by: The Monastery of St. Macarius the Great, Wadi El-Natrun.
ANNUAL SUBSCRIPTIONS (10 issues a year, July & August excluded, sent by Int. Courier):
U.S.$ 100.00; Single Copies U.S.$ 10.00
Subscriptions to be paid through our Website as mentioned below, or sent by a check to:
"St Macarius Printing House", P.O. Box 1574, Centreville, VA 20122, USA.
No materials may be reproduced in whole or in part without written permission from the publisher.
© 2024 by the Monastery of St. Macarius the Great.
Library of Congress Catalogue Card Number: 80–960629. ISSN 2805-2382
VISIT THE WEBSITE OF THE MONASTERY: WWW.STMACARIUSMONASTERY.ORG

March 2024

ST. MARK

Monthly Review

"Arise, take up thy bed and walk" (Mark 2:9).

Painting on wood by a Flemish artist Jan van Hemessen (c. 1500-1566).